بيت النَّوْبة ودوره في دار الخلافة العباسية

شيرين العشماوي

مدرس التاريخ الإسلامي- كلية البنات- جامعة عين شمس- مصر

Shereen.Shalby@women.asu.edu.eg

الملخص: بيت النَّوْبة أحد الأبنية المهمة التى شيدت في مقر حكم الخلافة العباسية الجديد في الجانب الشرقي من بغداد، والذي عُرف باسم: "دار الخلافة"، وأسس البيت في الأغلب في عهد الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م)، ويقع على شاطئ نهر دجلة بجوار"دار السلام" التى كان يعقد بها مجالس الخلفاء، وتعني كلمة النَّوْبة في اللغة "الدولة والجماعة من الناس"، وقد اتفق هذا المعنى مع دور البيت، فكان مخصصًا لعقد الاجتماعات المهمة في الخلافة، والتى كان يحضرها كبار رجال الدولة من الوزراء، والقضاة، والفقهاء، والشهود، والأشراف، والأعيان، ونوقش به أمور الخلافة الداخلية والخارجية، ومن أهمها القرارات التى أصدرها الخلفاء، وشهد الكثير من الأحداث السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وأقيم به مراسم العزاء عند وفاة أحد الخلفاء أو أفراد الأسرة العباسية، وظل دوره قائمًا حتى سقوط الخلافة العباسية.

الكلمات الدالة: بيت- النَّوْبة- الخلافة العباسية- الاجتماعات- بغداد.

Al- Nawba House and its role in the Abbasid Caliphate Court

Shereen al- Ashmawy

Lecturer of Islamic History- Faculty of women-Ain Shams University- Egypt

Shereen.Shalby@women.asu.edu.eg

Abstact: Al-Nawba House is one of the most important buildings that were Constructed in the new headquarters of the reign of the Abbasid caliphate, in the Estern side of Baghdad, which was known as "the Abbasid Caliphate court".

The house was mostly established in the age of the caliph "Al-Kaem B-Amr Allah" (422- 467CE- 1031-1075AD). It was situated by the Degla River, close to "Dar al-Salam", where the meetings of the caliphate were held.

The word "Al-Nawba" in the Arabic language, refers to the country and the groups of People; this meaning suits the role of the house, that it was specialized for holding the important meetings in the caliphate.

All the outstanding people, as ministers, judges, jurists, witnesses, noble men, and rich people, all of them used to attend the important meetings at the caliphate. There, the internal and external affairs of the caliphate were discussed, mostly the decisions that were issued by the caliphs.

The house also witnessed a lot of events, political, religious, social, economic, and cultural. Besides, the funeral ceremonies of the caliphate were held there for the death of the caliphs or anyone of the Abbasid family. However, the role of the house remained until the downfall of the Abbasid Caliphate.

Key words: House- Al-Nawba- Abbasid Caliphate-The meetings- Baghdad.

أطلق اسم "دار الخلافة" على مقر الخلافة العباسية الجديد في الجانب الشرقي من بغداد، منذ تأسيسه في عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م)، واشتملت على العديد من القصور والدور[١]، كان من بينها

بيت[٢]النَّوْبة [٣]، وكلمة النَّوْبة تعني في اللغة الدولة والجماعة من الناس[٤].

ويقصد به بيت الدولة الذى يأتي إليه جمع من الناس، وقد اتفق هذا المعنى مع دور البيت، ومع الهدف من انشائه، فكان مخصصًا- كما تبين من الدراسة- لعقد الاجتماعات، ويتم فيها عرض ومناقشة أمور الخلافة الداخلية والخارجية، والتصديق على قرارت الخلفاء، وشهد الكثير من الأحداث السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، منذ القرن الخامس الهجري/الحادى عشر الميلادي حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ولهذا خصصنا هذه الدراسة لبحث دوره في دار الخلافة العباسية.

لم يحظ بيت النَّوْبة باهتمام كبير في المصادر العربية، واكتفى بعض المؤرخين بكتابة الأحداث التى عقدت به دون ذكره، ولعل ذلك كان بهدف الاختصار، واكتفى البعض الآخر بالإشارة إليه، ولم توضح كتاباتهم بعض البيانات المهمة عنه، كالهدف من انشائه، وتاريخ تأسيسه، وتحديد موقعه في دار الخلافة العباسية.

ونرجح أنه أسس في عهد الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م)، حيث لم يرد ذكره في المصادر- المتاحة بين أيدينا- قبل عهده، ومن ناحية أخرى تردد اسم البيت كثيرًا طوال فترة حكمه، منذ عام ٤٢٩هـ/١٠٣٨م حتى عام ٤٦٦هـ/١٠٧٤م[٥]، ثم قل دوره تدريجيًا، وآخر إشارة وردت عنه كانت عام

---

[١] اشتملت دار الخلافة على العديد من قصور الخلفاء العباسيين ودورهم، كالقصر الحسني، والتاج، والثريا، ودار الشجرة، ودار المثمنة ودار المربعة، ودار الخيل، ودار الريحانين، وضمت مجالسهم ودواوين دولتهم، ومخازنها وبساتينها، ودور رجال دولتهم المقربين، بالإضافة إلى أبنية لمصالح أخرى ومحلات تجارية، وكانت تمثل ثلث مساحة بغداد، ولهذا فهى دارا اسما ومدينة حقيقة واقعا وعرفت أيضًا باسم الحريم. أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١)، ٤١٦؛ ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥) ، ٢٥٠- ٢٥١، ٤٢٠-٤٢٣؛ مطفى جواد، "دار الخلافة العباسية"، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد ١٢(١٩٦٥): ٩٨.

[٢] غلب على المكان مسمى بيت، وذكرته بعض المصادر باسم دار. أبو بكر بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الدرر، ج ٧ (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٢)، ٣٤٩ ؛ شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤)، ١٦٤.

[٣] أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦)، ٢٦٩؛ أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج ٥ (طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٥)، ١٩١.

[٤] **النَّوْبة:** بتشديد وفتح النون، وسكون الواو وجمعها نوب، وتناوب الأمر بمعنى قام به مرة بعد مرة، والنوب أطلقت على جماعة النحل ترعى ثم تنوب إلى موضعها فشبه ذلك بنوبة الناس والرجوع مرة بعد أخرى. ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ٣٠٨؛ محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤ (بيروت ، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩)، ٣١٨-٣١٩؛ محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج ١ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٠)، ١٣٤؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (القاهرة : مكتبة الشروق، ٢٠٠٤)، ٩٦١.

[٥] أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ٢٦٤.

٦٤٠هـ/١٢٤٢م، عند وفاة الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م)، وولاية آخر الخلفاء المستعصم بالله (٦٤٠- ٦٥٦هـ/١٢٤٢- ١٢٥٨م)[١].

أما بالنسبة لموقع بيت النَّوْبة في دار الخلافة، فقد تبين من بعض الإشارت الواردة في كتابات المؤرخ ابن الجوزي أنه كان يقع على شاطئ نهر دجلة، واتضح ذلك من قوله:"ركب من شاطئ دجلة عند بيت النَّوْبة"، وأشار إلي هذا الموقع مرة أخرى عند حديثه عن فيضان دجلة عام ٤٦٦هـ/١٠٧٤م، وأوضح أن الماء فاض إلى داخل دار الخلافة من خلال البيت[٢]، وألمح أيضًا ابن الجوزي إلى أن بيت النَّوْبة كان قريبا من"دار السلام"ويكاد يكون ملاصقا لها، وهى من دور الخلافة المهمة لوجود مجلس الخليفة أو"سريره"بها، وتحديدًا في رواق الصحن، ولذا غلب على الدار اسم صحن السلام[٣]، وأشار إلى هذا الموقع عند زيارة السلطان طغرلبك (٤٢٩-٤٥٥هـ/١٠٣٨-١٠٦٣م) لبغداد عام ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، موضحًا أنه بعد انتهاء مراسم استقبال الخليفة القائم بأمر الله له في صحن السلام، تقرر نقل الأعلام من سطح الصحن إلى روشن[٤] بيت النَّوْبة خشية خروجها من الأبواب فتنكس[٥]، ونرجح أن اختيار موقع البيت وبمعنى أدق بيت الدولة بالقرب من صحن السلام، كان مخططًا له ليكون قريبًا من مجالس الخلفاء، لضمان سهولة المراسلات[٦].

عكست الاجتماعات التى شهدها بيت النَّوْبة ماتبقى للخلفاء العباسيين من سلطان في دار الخلافة، وكانوا قد فقدوا الكثير من إمتيازاتهم منذ سيطرة الدولة البويهية (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٦-١٠٥٥م) ومن بعدها دولة السلاجقة (٤٤٧-٥٤٩هـ/١٠٥٥-١١٥٤م) على الخلافة العباسية، وأصبح الخليفة أشبه ما يكون بالموظف، يخصص له راتبًا[٧]، وأبقوا له حق اصدار عهود التولية، ومنح الألقاب[٨]، والتشريفات لإرضاء الرأي العام، وظل الخلفاء

---

[١] الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ٣٤٩.

[٢] المنتظم، ج ١٥، ٣١٣، ج١٦، ١٥٥.

[٣] بُني **قصر السلام** في عهد الخليفة المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/٧٧٥- ٧٨٥ م) في محلة عيساباذ بالجانب الشرقي من بغداد، وأشارت إليه المصادر كثيرًا في العصر العباسي الثاني باسم: دار السلام وصحن السلام عند الحديث عن مجالس الخلفاء، منذ عهد الخليفة الطائع لله (٣٦٣ - ٣٨١هـ/٩٧٤-٩٩١م) حتى عهد المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٣م)، وأقيمت به أيضًا صلاة الجنازة بإمامة الخلفاء ومراسم العزاء للعديد من أفراد الأسرة العباسية. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١، ٤١٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ٢٦٩، ٣٤٨، ج ١٥، ٣١٣، ٣٥٠، ج ١٦، ١١، ١٩، ٦٣، ١٤٥، ١٦٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ١٧٢-١٧٣؛ أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج ١٨ (دمشق: الرسالة العالمية، ٢٠١٣)، ٣٧٦ ، ٥١٢، ج ١٩، ٢٠، ١١١، ١٥٢، ٢٧٣، ج ٢٢، ١٢٩، ٣٢٣.

[٤] **روشن:** بمعنى الشرفة أو الكوة، أى الخرق في الحائط ليدخل منه الضوء والهواء. ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ٢٢٣، ج ١٢، ١٩٨؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ٣٤٧ ، ٨٠٦.

[٥] المنتظم، ج ١٦، ٢١.

[٦] تم تنظيم مقابلة الخلفاء- في بعض الأحيان- من خلال بيت النَّوْبة كما سنوضح. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ١٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ٤٩٧، ج ١٩، ١٩٧.

[٧] حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥)، ٢٥.

[٨] **الألقاب:** عرفت منذ العصر الجاهلي ووسم بها النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه، ومنح العباسيون البويهيين العديد منها، مثل عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة. أبو الحسين هلال بن المحسن الصابئ، رسوم دار الخلافة (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٦)،

يتمتعون بنفوذهم الديني، والتف حولهم الفقهاء والقضاة والوعاظ حتى قيل إنهم كونوا حزبًا يؤيد الخلفاء، وبواسطة هذا النفوذ استرجع الخلفاء بعض سلطانهم، وحافظوا على احترام الرأي العام وتأييده، وظل الخليفة أمير المؤمنين الذي تهفو إليه قلوب المسلمين في أرجاء العالم السني[١].

وكان بيت النَّوْبة– في رأينا– المكان الذى حافظت فيه الخلافة العباسية على هيبتها وما تبقى لها من سلطاتها، خاصة وأن الخليفة القائم بأمر الله– الذى رجحنا أن البيت أسس في عهده– قيل عن عهده أنه: "زاد به وقار الدولة ونمت قوتها"[٢]، وصار البيت المكان الرسمي الذى أعلنت فيه قرارات الخلفاء، وعكس هذا الهدف من تشييده.

شهد بيت النَّوْبة العديد من الأحداث المهمة، من أهمها القرارات التي أصدرها الخلفاء، وذكرتها المصادر بعبارة:"خرج توقيع الخليفة إلي بيت النَّوْبة"[٣]، واهتم بحضور الاجتماعات به كبار رجال الدولة من الوزراء، والقضاة، والفقهاء، والشهود، والأشراف، والأعيان، وصار حضورهم من المراسم المعتادة في البيت، وقيل في ذلك:"اجتمع هناك من طبقات الناس من جرت به العادة"، وكان يقوم أحد الموظفين بتسجيل أسماء الحضور عند وصولهم إلى البيت في دواة الوزير[٤]، وهى تشتمل على أدوات وأوراق الكتابة المخصصة له[٥]، مما يشير إلى أنه كان للوزير مكان ثابت لمجلسه في البيت، ولهذا عقدت أغلب الاجتماعات برئاسته كما سنوضح.

ووضع نظام لترتيب جلوس الحضور في البيت، وكان يتم حسب مكانتهم الأعلى فالأقل، ومن الراجح أنه كان يلتف كبار رجال الدولة حول الوزير على شكل دائرة، وقد أشار إلي ذلك ابن الدواداري بقوله: "وصل .. الوزير .. وجلست الصدور حوله على قدر مراتبهم"[٦]، ولهذا اعترض قاضي القضاة– في إحدى الاجتماعات– عندما جلس أحد القضاة في مكان أعلى منه، ونُظم جلوس القاضي في هذا المكان لأنه كان ضيفًا ببغداد[٧]، وفى هذا إشارة إلى أن بعض الضيوف كانوا يكرمون بمكان جلوسهم في البيت.

١٢٨، ١٣١–١٣٢.

[١] البيروني، الأثار الباقية من القرون الخالية (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٨)، ١٥٦؛ محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (بيروت : دار صادر، ب.ت) ٢٨٧–٢٨٨؛ عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة (بغداد: مطبعة السريان، ١٩٤٥)، ٢٥٥، ٢٥٧–٢٥٨؛ عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩)، ١٤؛ حسين الأمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ٢٦–٢٧.

[٢] محمد بن علي بن طباطبا، الفخري، ٢٩٢.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٢٦٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٣١٠.

[٤] محمد بن حامد العماد الأصفهاني، نصرة الفترة وعصرة الفطرة، ج ١(لندن: الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٩)، ١٦٥، ١٧٦؛ أبو إبراهيم الفتح بن على البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠)، ٢١، ٢٦.

[٥] **الدواة:** تشتمل على سبع عشرة آلة تبدأ بحرف الميم، مثل المزبر وهو القلم، والمقلمة، والمدية وهي السكين، والمحبرة، ومنها الآلة السادسة عشرة وهي المهرق وتعنى القرطاس أو الكاغد، وهو أحد أنواع الورق الذى يستخدم في الكتابة. أحمد بن على القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٥)، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٨٢، ٤٨٥.

[٦] كنز الدرر، ج ٧، ٣٤٩.

[٧] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٨٦–٨٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٦٢.

دور بيت النَّـوْبة فـى عهـد الخليفـة القـائم بـأمر الله: برز دور البيت في عهد القائم بأمرالله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م) علي الصعيد الداخلي والخارجي، وشهد الكثير من الأحداث، فبالنسبة لشئون الخلافة الداخلية أصدر الخليفة عدة قرارات تتعلق باختصاصاته الدينية والسياسية، كما عقد به بعض الاجتماعات التى تتعلق بالناحية الاجتماعية.

ومن القرارات التى اصدرها الخليفة قرارًا يخص أهل الذمة، وألزمهم فيه بلبس الغيار في رجب عام ٤٢٩هـ/١٠٣٨م، وهو من الملابس التى تميزهم عن المسلمين[١]، وللتصديق على هذا القرار وتنفيذه اجتمع في البيت عدد كبير من كبار رجال الدين الإسلامي، والمسيحي، واليهودي، وقرئ عليهم قرار الخليفة، وعلل فيه الخليفة القائم بأمر الله سبب اتخاذه له، وهو إحياء ما كان متبعا مع أهل الذمة منذ عهد الخلفاء الراشدين[٢]، وذكر ابن الجوزي تفاصيل هذا الموضوع فقال:"جمع الأشراف والقضاة والشهود والوجوه إلى بيت النَّوْبة، واستدعى جاثليق النصارى[٣]، ورأس جالوت اليهود[٤]، وخرج توقيع الخليفة في أمر"العيار"[٥]، وإلزام أهل الذمة إياه[٦]"[٧].

شهد أيضًا البيت العديد من القرارات السياسية التى أصدرها الخليفة القائم، وتتعلق بتعيين كبار رجال الدولة، وهو تقليد اعتاد فيه الخلفاء على منح التشريفات للملوك، والأمراء، والقضاة، والأشراف[٨]، وصار بيت النَّوْبة لأكثر من قرن- كما ظهر من الدراسة- المكان الرسمي الذى يتم فيه دعوة جمع كبير من الناس بصورة تشبه

---

[١] اعتاد الخلفاء على اتخاذ هذا القرار من حين لآخر، مثلما حدث في الأعوام التالية: عام ٢٣٥هـ/٨٤٩ م، وعام ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وعام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م . للمزيد انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ٢٢٢، ج ١٥، ٩٢، ج١٦، ٢٤٣.

[٢] ألزم الخليفة عمر بن الخطاب النصارى بملابس خاصة فى كتاب الصلح الذى كتبه إثر وصوله إلي الجابية بعد فتح بيت المقدس عام ١٦هـ/ ٦٧٣م وفيه:" ونشد الزنانير فى أوساطنا... ولا نتشبه بالمسلمين في لباسهم". **والزنار** هو حزام يشده النصرانى على وسطه. علي أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢ (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥)، ١٦٧، ١٧٤؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ٤٠٣.

[٣] **الجاثليق:** هو رئيس الأساقفة، ويخول إليه الرئاسة على جميع النصارى ورعاية مصالحهم وإدارة الأوقاف المخصصة لهم. رفائيل أبو اسحق، أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية (بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٦٠) ٥١؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ١٠٧.

[٤] **رأس جالوت اليهود:** هو حاكم اليهود وكبيرهم وله الرئاسة الدينية عليهم، ويرجعون إليه في جميع أمورهم. أبو الريحان محمد بن البيروني، الأثار الباقية من القرون الخالية، ١٥٦؛ زين الدين عمر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦) ٧٥.

[٥] **العيار:** ورد خطأ في كتاب المنتظم لابن الجوزي والصواب **الغيار**، وهو من الملابس المشهورة لتمييز أهل الذمة هو والزنار بربطه على الوسط . ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٢٦٤؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ٦٦٨.

[٦] المنتظم، ج ١٥، ٢٦٤.

[٧] ذكرت بعض المصادر قرار الخليفة الخاص بأهل الذمة دون الإشارة إلى اجتماعهم في بيت النَّوْبة مثل. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ٤٢٤؛ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٩ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣)، ٣٥٤؛ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٩٠)، ٤٣.

[٨] محمد بن على ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء (القاهرة: الآفاق العربية، ١٩٩٩)، ١٩٧.

الاحتفال ويحضره الخليفة في بعض الأحيان، ويقوم الوزير بقراءة قرار الخليفة أو توقيعه بتعيين أحد رجال الدولة، ومنحه الخلع والألقاب، واكتسب البيت شهرة كبيرة، وأصبح المقر الرسمي الذى يدعى إليه الأمراء[١].

أصدر الخليفة القائم بأمر الله العديد من القرارات بشأن تعيين الوزراء ومنحهم الألقاب والخلع، ففى عيد الأضحى عام ٤٤٣هـ/١٠٥٢م تقرر تكريم الوزير رئيس الرؤساء ابن المُسلمة[٢]، فحضر إلي بيت النَّوْبة، وقرئ توقيع الخليفة أمام الحضور وفيه لقب بـ:"جمال الورى، وشرف الوزراء"، وخلع عليه[٣]، كما عقد في البيت اجتماعا لتكريم قاضى القضاة ابن ماكولا [٤]في ذى القعدة عام ٤٤٤هـ/١٠٥٣م، وكان برئاسة الوزير ابن المُسلمة وحضره القضاة، والفقهاء، والشهود، والأعيان، وقرأ الوزير قرار الخليفة بصوت عالٍ لإضفاء الهيبة على المكان[٥].

كما شهد البيت مراسم ولاية الوزير ابن جهير[٦] يوم وقفة عرفات[٧]عام ٤٥٤هـ/١٠٦٣م، وشرفها بالحضور الخليفة القائم بأمر الله، وقام الكاتب ابن الموصلايا[٨] بقراءة قرار تعيينه[٩]، وظل ابن جهير فى منصبه حتى عزل منه في ذي القعدة عام ٤٦٠هـ/١٠٦٨م، ثم أعاده الخليفة إلى الوزارة بعد عدة أشهر في ربيع الأول عام ٤٦١هـ/١٠٦٩م، وكان بيت النَّوْبة من الأماكن التى شهدت حضور جمع من الناس لتهنئته بعودته[١٠]، وحظي

---

[١] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٦٠.

[٢] **أبو القاسم علي بن الحسن بن عمر:** عمل كاتبًا للخليفة القائم ثم ولاه الوزارة عام ٤٣٧هـ/١٠٤٥م، وظل وزيرا له حتى وفاته عام ٤٥٠هـ/١٠٥٩م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٠٢، ج ١٦، ٤١– ٤٢.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٣١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٩، ٧٤٩.

[٤] **أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر:** ولى القضاء بمدينة البصرة ثم ولاه الخليفة القادر بالله قضاء القضاة عام٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م، وأقره الخليفة القائم بأمر الله، وظل في منصبه حتى وفاته في شوال عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ٨، ٦٣٥–٦٣٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٥١– ٣٥٢.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٣٥.

[٦] **أبو نصر فخر الدولة محمد بن محمد:** ولد ونشأ بالموصل وعمل بالتجارة، واشتهر بولايته منصب الوزارة لفترة طويلة، فتولاها في دولة ابن مروان الكردي في ديار بكر وميافارقين عام ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م، ثم أسندت إليه في عهد الخليفة القائم بأمر الله ومن بعده الخليفة المقتدي بالله، واستقر آخر عمره في ميافارقين، وتوفي بالموصل عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م. أحمد بن يوسف الفارقي، تاريخ الفارقي (القاهرة: المطابع الأميرية، ١٩٥٩)، ١٧٧، ٢١٦، ٢١٩– ٢٢٠، ٢٢٧؛ ابن الجوزي ، المنتظم، ج ١٦، ٧٠–٧١، ٢٩٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٥٢٧.

[٧] العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٧٦؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ٢٥؛ أبو الحسن على بن أبى الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨ (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧)، ٣٥٩؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٣، ١٦٩.

[٨] **أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب:** أحد الكتاب المعروفين، تولى رئاسة ديوان الإنشاء ببغداد منذ عام ٤٣٢هـ/١٠٤٠م ولمدة خمس وستين عامًا، عاصر خلالها ثلاثة من الخلفاء وهم: القائم والمقتدي والمستظهر، كما ناب في الوزارة عدة مرات، وكان نصرانيًا وأسلم عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م، وأصابه العمى في آخر عمره وتوفي في جمادى الأولى عام ٤٩٧هـ/١١٠٤م . محمد بن حامد العماد الأصفهاني، خريدة القصروجريدة العصر، ج١ (العراق: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٥)، ١٢٣– ١٢٤؛ ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم الأدباء، ج٣ (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩١)، ٥٢٥– ٥٢٦.

[٩] العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٧٦؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ٢٥– ٢٦.

[١٠] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ١٠٦، ١١١– ١١٢.

ابنه عميد الدولة ابن جهير بمكانة كبيرة في الخلافة[١]، وتقرر تكريمه أيضًا في البيت عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م، وأقيمت له المراسم المعتادة مع كبار رجال الدولة، وهى قراءة توقيع الخليفة الذى كتبه الكاتب ابن الموصلايا ومنحه الخلع[٢].

وأصدر الخليفة القائم عدة قرارات بشأن تعيين النقباء[٣]من العباسيين والطالبيين، وتمت مراسم ولايتهم ومنحهم

الخلع والألقاب في بيت النَّوْبة، وشهد مراسم ولاية اثنين من أسرة الزينبي[٤] نقابة العباسيين وهما: عمر الزينبي[٥]، وتولاها فى جمادى الآخرة عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، وأسندت إليه أيضًا الصلاة والخطبة في المساجد الجامعة، ولقب بالرضا ذى الفخرين[٦]، وطراد الزينبي[٧]وتولاها في رجب[٨]عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م[٩]، ولقبه الخليفة بالكامل ذى الشرفين[١٠].

كما عقدت فيه مراسم ولاية نقابة الطالبيين برئاسة الوزير ابن المُسلمة، وأُسندت النقابة في جمادى الآخرة عام٤٥٠هـ/١٠٥٨م إلى أبي عبد الله ابن أبي طالب[١١]، وحضر مراسم ولايته قاضى القضاة أبو عبد الله

---

[١] **أبو منصور محمد بن محمد بن جهير**: كان من كبار رجال الدولة في عهد القائم بأمر الله وناب عن والده في الوزارة، وسافر كثيرًا رسولًا إلى دولة السلاجقة، وسار إلى نيسابور مع عدة الدين– الخليفة المقتدي– حفيد الخليفة القائم بأمر الله، وكان وكيله في زواجه من ابنة السلطان ألب أرسلان عام ٤٦٤هـ/١٠٧٢م، وتولى عميد الدولة الوزارة بعد والده للخليفة المقتدي بالله، وتولاها أيضًا للخليفة المستظهر بالله ،وتوفي في شوال عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م. العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ٢٢٨– ٢٢٩؛ خريدة القصر، ج ١، ٨٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ١٤٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٦٣، ٢٧٢، ٢٧٤، ٥٠٩.

[٢] العماد الأصفهاني، نصرة الفترة ،ج ١، ٢٠٦؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ٣٧.

[٣] تهدف ولاية النقباء إلى صيانة الأنساب المنتسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويختار الخليفة من العباسيين والطالبيين أجلهم بيتا وأكثرهم فضلًا، ويقال لنقيب العباسيين الهاشميين، ولنقيب الطالبيين العلويين. أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت)،١٢١؛ عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، ج ٨ (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٨٠)، ١٧٤.

[٤] نسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي، وقيل إنها كانت زوجة الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وبيت الزينبي قديم ومعروف في العراق. السمعاني، الأنساب، ج ٦، ٣٤٥– ٣٤٦.

[٥] **أبو علي بن أبى تمام عمر بن محمد بن محمد بن علي**: لم نقف على ترجمة له، ووجدنا نسب الأسرة كاملًا إلى العباس ابن عبد المطلب في ترجمة والده. للمزيد انظر. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ٤، ٣٨٧.

[٦] أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، ج ٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ١١٧.

[٧] **الكامل أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي**: ولى نقابة العباسيين بالبصرة قبل ولايته لها ببغداد، وسافر رسولًا عن الخلافة إلى العديد من البلاد، وتوفي عام ٤٩١هـ/١٠٩٨م. صلاح الدين بن أيبك الصفدي، الوافى بالوفيات، ج ١٦(بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠)، ٢٤٠– ٢٤١.

[٨] وقيل في شهر صفر. ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٤، ٤٤– ٤٥.

[٩] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٦٩.

[١٠] ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٥٦؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٤، ٤٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ٩؛ الصفدي، الوافى، ج ١٦، ٢٤٠.

[١١] تولى نقابة الطالبيين في الكوفة والمظالم والحج قبل ولايته النقابة فى بغداد. ولم نقف على ترجمة له وورد اسمه مختصرًا في

الدمغاني[١] وجمع من الأعيان، وقرأ الوزير قرار الخليفة بولايته، ومنحه لقب المرتضي ذى العزين[٢]، ثم تولاها أبو الغنائم المعمر ابن عبيد الله [٣]في ذي القعدة عام٤٥٦هـ/١٠٦٤م، وأقيمت مراسم ولايته أيضًا بالبيت[٤]، وأضيفت إليه المظالم وأمور الحج[٥]، ولقبه الخليفة بالطاهر ذي المناقب وخلع عليه[٦].

شهد بيت النَّوْبة مراسم تكريم بعض القادة وآبائهم، ومنحهم الخلع، ومنهم"علي المبارز عبد الله الديلمي"[٧] والد القائد"المرشد أبو الوفاء ازاذويه"[٨]، ومن الراجح أنه كان من القادة.

بالإضافة إلى ذلك عقدت في بيت النَّوْبة مراسم ولاية أمراء القبائل العربية في الكوفة والموصل والحِلة، ففي ذي القعدة عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م خلع فيه على"رجب بن منيع" أمير الكوفة[٩]وبني خفاجة[١٠]بعد ولايته عليهم في هذا هذا العام، وكتب له عهد بما يحكمه من البلاد[١١].

وفى العام التالي تقرر منح"مسلم بن قريش"[١٢] أمير الموصل الخلع في البيت، فلم يتمكن من الحضور، فأرسلت إليه[١٣]، كما خُلع فيه أيضًا على"دبيس بن مزيد"[١] أمير الحلة عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م[٢].

المصادر. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ٣٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٥٩.

[١] **محمد بن علي بن حمويه:** تقلد قضاء القضاة للخليفة القائم بأمر الله في ذى القعدة عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٦م، وتوفي في رجب عام ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م . ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٢٤٩، ٢٥١.

[٢] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٥٩.

[٣] **المعمر بن محمد بن المعمرين الحسيني:** ولى نقابة الطالبيين لمدة اثنتين وثلاثين سنة وعدة أشهر، وتوفي عام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ٤١.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٨٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٦٩.

[٥] أسند الخلفاء ولاية المظالم والحج لبعض نقباء الطالبيين، للمزيد انظر. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٤٣، ١١١.

[٦] ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٧١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ١١؛ ابن كثير، البداية، ج١٢، ٩١.

[٧] ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٥، ١٩٠– ١٩١.

[٨] أسندت إليه حماية منطقتى نهر الملك ودجيل، وتولى الكوفة وخطب له على منابرها وقاد العديد من المعارك، وتوفي عام ٤٤٤هـ/١٠٥٢م. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٢٤٦–٢٤٧؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج ٥، ١٢٤، ١٩٠، ٤٩٩.

[٩] **رجب بن منيع بن ثمال:** تولى إمارة بنى خفاجة والكوفة وسقى الفرات عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م، وعزله السلطان طغرلبك عام ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م، ثم تولاها مرة أخرى عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٠٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٥٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٥٠– ١٥١.

[١٠] ينسب بنو خفاجة إلى بني عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة، وهم أقاموا في البحرين مدة، ثم انتقلوا إلى العراق وملكوا الكوفة والموصل والجزيرة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ٣٤١ – ٣٤٣.

[١١] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٥١.

[١٢] **شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش بن بدران العقيلي:** تولى إمارة بنى عقيل في الموصل بعد وفاة والده عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م، ٤٥٣هـ/١٠٦١م، وتولى أيضًا ديار ربيعة ومضر وحلب، وتوفي عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، وقيل كانت وفاته فى العام السابق. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٥٥، ٤٣٦ – ٤٣٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٤٣٥.

[١٣] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٦٠.

اتضح مما سبق أن بيت النَّوْبة كان المكان المخصص في دار الخلافة لعقد الإجتماعات، وإتمام مراسم تعيين كبار رجال الدولة في العراق، ومنحهم الخلع والألقاب، وصار ذلك من العادات المتبعة في الخلافة، وقد لاحظنا أن منح الخلع في البيت كان– في بعض الأحيان– بغرض إستمالة المعارضين وإنهاء الأزمات السياسية، وكان البساسيري قائد الأتراك في بغداد، نموذجًا واضحًا لذلك، حيث بدأت تظهر بودار الأزمة السياسية الكبيرة التى تسبب فيها في الخلافة[٣] في ذي الحجة عام ٤٦٦هـ/١٠٥٥م، ولهذا: "راسله الخليفة ولاطفه، فاستقر أنه يحضر إلى بيت النَّوْبة ويخلع عليه ... فوقف بإزاء بيت النَّوْبة.. ولم يعبر"، وقد فسر البساسيري للخليفة سبب رفضه دخول البيت، وأرجعه إلى خلافه مع الوزير رئيس الرؤساء ابن المسلمة[٤]، وعكس هذا في رأينا الدور والمكانة التى كانت للوزير بصفة عامة في بيت النَّوْبة، حيث عهد إليه الخليفة قراءة قراراته، والتى من بينها منح الخلع، ولهذا رفض البساسيري دخول البيت بسبب خلافه مع الوزير ابن المسلمة.

أقيم ببيت النَّوْبة أيضًا مراسم زواج كبار رجال الدولة، مما يوضح أنه كان له– في بعض الأحيان– دور اجتماعي، فعقد به زواج الوزير محمد بن الحسن الشيرازي[٥] بابنة الكاتب العراقي عميد الرؤساء[٦] فى المحرم عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، وحضر مراسم الزواج الوزير ابن المسلمة وجمع من الأعيان[٧].

بالإضافة إلى ذلك عقد في البيت بعض الاجتماعات الاستثنائية التى لا تتناسب مع طبيعة العمل به، كان من بينها أحد المجالس لقاضى القضاة ابن ماكولا عام ٤٣١هـ/١٠٣٩م[٨]، وفيه أجاز شهادة الشاهد[٩]عبد الوهاب ابن قاضى القضاة الماوردي[١]، وأقيم المجلس في البيت تقديرًا واحترامًا لمكانة والده[٢].

---

[١] **نور الدولة دبيس بن مزيد الأسدي أمير عرب العراق:** ولي إمارة الحلة عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م، وظل واليًا عليها حتى وفاته عام ٤٧٤هـ/١٠٨٢م . ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٤٢٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٣١٣.

[٢] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٢٢٢.

[٣] **أبو الحارث أرسلان البساسيري:** ينسب إلى بسا ببلاد فارس، وكان قائد الأتراك في بغداد وقوى أمره كثيرًا حتى أنه صار يدعى له على المنابر في العراق، واختلف كثيرًا مع الوزير ابن المسلمة وصارا عدوين– علي حد قول ابن العمراني– وتحالف البساسيري مع الخلافة الفاطمية في مصر، وتمكن من إقامة الدعوة الفاطمية في بغداد لمدة سنة كاملة من ذي القعدة ٤٥٠هـ/١٠٥٩م إلى ذي القعدة عام ٤٥١ هـ/١٠٦٠م، وانتقم البساسيرى من الوزير ابن المسلمة وقتله، ثم أنهى السلطان السلجوقى طغرلبك تمرد البساسيرى وقتله في ذي الحجة ٤٥١هـ/١٠٦٠م. ابن العمراني، الإنباء، ١٨٨– ١٩٨؛ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٤٨؛ ياقوت معجم البلدان، ج١، ٤١٢.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٤٤ –٣٤٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ٤٨٨؛ ابن كثير، البداية، ج ١٢، ٦٥.

[٥] **أبو العلاء محمد بن الحسن:** يرجع أصله إلى مدينة شيراز، وتولى الوزارة في خوزستان مدة، وجاء إلى بغداد بعد عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، وحظى بقبول لدى كبار رجال الدولة، ثم انتقل إلى مدينة واسط وأقام بها حتى وفاته عام ٥٠٠هـ/١١٠٧م. ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج ١، ٢٦٨–٢٧٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٨٢٩.

[٦] **أبو طالب محمد بن أيوب:** أديب معروف، ألف كتاب الخراج، واشتغل بالكتابة للخليفة القائم بأمر الله لمدة ست عشرة سنة، وتوفي عام ٤٤٨هـ/١٠٥٦م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ١١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٩، ٧١٤.

[٧] ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج ١، ٢٦٩.

[٨] وقيل في شعبان عام ٤٣٠هـ/١٠٣٩م . ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ٢١٨.

[٩] ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ٢١٩.

دور بيت النَّوْبة في العلاقات العباسية السلجوقية: حلت دولة السلاجقة محل الدولة البويهية في السيطرة على الخلافة العباسية[٣]، منذ عهد السلطان طغرلبك (٤٢٩- ٤٥٥هـ/١٠٣٨- ١٠٦٣م)، وأقيمت الخطبة له ببغداد منذ رمضان عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٤]، وشهد بيت النَّوْبة العديد من الاجتماعات في الإطار المحدد لاختصاصات الخليفة، ولعب عميد الملك الكندري[٥]، وزير طغرلبك، دورًا كبيرًا في العلاقات العباسية السلجوقية، وحضر البيت مرات عديدة رسولًا عنه، كان أولها في عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، جاء ليتسلم خلع الخليفة[٦] المعتادة المهداة إلى طغرلبك[٧].

اهتمت دولة السلاجقة منذ سيطرتها على العراق بمصاهرة الخلافة العباسية، بهدف استقرار نفوذهم في بغداد، والوصول إلى النسب العربي، ووافق الخليفة القائم بأمر الله على هذه الزيجة لحاجته إلى قوة السلاجقة[٨]، وكانت أولى هذه المصاهرات في المحرم عام ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، واجتمع الكندري مع الوزير ابن المسلمة وكبار رجال الدولة من الأمراء، والقضاة، والعدول[٩]في بيت النَّوْبة لحضور عقد قرآن الخليفة القائم على أرسلان خاتون[١٠] ابنة شقيق السلطان طغرلبك[١١]، وكتب الوزير ابن المسلمة إلى الخليفة يعلمه باجتماع الكثير من رجال الدولة في

---

[١] **أبو الفائز عبد الوهاب بن علي بن محمد بن حبيب الماوردى:** وُلد بالبصرة ثم انتقل مع والده قاضى القضاة الماوردي إلى بغداد وأقام بها وتوفي عبد الوهاب شابا في المحرم عام ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م، وكان والده أحد وجوه فقهاء الشافعية وله العديد من المؤلفات في أصول الفقه، وتوفي في عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٤١؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ٢١٨ – ٢١٩.

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٢٩٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٢، ٦٠.

[٣] ابن طباطبا: الفخري، ٢٩٢؛ عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ٤٠؛ حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي (القاهرة : دار الفكر العربي، ب. ت)، ٥٦١.

[٤] ابن العمراني، الإنباء، ١٨٩ – ١٩٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٤٨– ٣٤٩؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٤٢– ١٤٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٢٢–٣٢٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ٤٩٢ – ٤٩٣.

[٥] **أبو نصر محمد بن منصور:** تولى الوزارة للسلطان طغرلبك ثمانى سنوات وعدة أشهر، وقتل بعد وفاة طغرلبك في عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٨٥– ١٨٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٨٥.

[٦] اشتملت على مجموعة من الهدايا القيمة من الديباج والحرير والجواهر والغلمان. نجم الدين محمد الراوندي، راحة الصدور وأية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة،١٩٦٠)، ١٧٠.

[٧] العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٤٥؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ١٣.

[٨] عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ٤٠–٤١؛ وفاء محمد علي، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٨)، ٨٩–٩٠.

[٩] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ٤٩٧.

[١٠] **خديجة بنت داود بن ميكائيل بن سلجوق:** تزوجها الخليفة القائم بأمر الله على صداق مائة ألف دينار، وقبل زواجها كانت ستتزوج الذخيرة ابن الخليفة وولي عهده، ودارت في ذلك عدة مراسلات، وبسبب وفاة ابنه الذخيرة تزوجها الخليفة. ابن العمراني، الإنباء، ١٩٠؛ الصفدي، الوافي، ج ١٣، ١٨٣– ١٨٤.

[١١] ابن العمراني، الإنباء، ١٩٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٤– ٥؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١ ، ١٤٦– ١٤٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٢٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ٤٩٧–٤٩٨.

البيت، فاختار الخليفة أسماء البعض منهم لحضور عقد الزواج، وفى هذا إشارة إلى دور البيت في تنظيم مقابلة الخلفاء.

كما ناقش الكندري مع الوزير ابن المسلمة في بيت النَّوْبة آخر تطورات الأحداث في بغداد في أول ذي القعدة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[١]، قبل أيام قلائل من وصول قوات البساسيري، واحتلاله لها في الثامن من الشهر نفسه[٢].

لم تلبث العلاقات العباسية السلجوقية أن ساءت في عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م، بسبب رفض الخليفة زواج ابنته من طغرلبك، ونشأت بسبب تلك المصاهرة أزمة كبيرة بين الدولتين، وكان بيت النَّوْبة المكان الذى شهد الاجتماعات بينهما، وأقيم به ثلاث جلسات، لعرض الأزمة، ومناقشتها، وحلها من خلال رسل طغرلبك والخليفة القائم بأمر الله.

أقيمت الجلسة الأولى في المحرم من العام[٣]، بعد وصول القاضي ابن صاعد[٤]رسول طغرلبك إلى دار الخلافة لطلب المصاهرة، ولما أعلن الخليفة القائم بأمر الله رفضه لطلب السلطان، واجه ردًا لاذعًا من الرسول: "وأخذ ابن صاعد يتكلم في بيت النَّوْبة بكلام يشبه التهدد إن لم تقع الإجابة"[٥]، وعلل الخليفة سبب رفضه بأن هذا الأمر لم يحدث من قبل مع أحد من الخلفاء[٦]، وهو زواج ابنة عربية سليلة الأسرة الحاكمة من أجنبي عنها[٧]، وقيل إن السلطان طغرلبك هدف من هذا الزواج التفاخر بين الأتراك بزواجه من عربية[٨]، لحل أزمة النسب غير العربي والوصول إلى منصب الخليفة[٩]، وحاول القائم بأمر الله إنهاء المشكلة بطلب مهر مبالغ فيه، لكى يضطر السلطان إلى إلغاء المصاهرة، فلم تنجح هذه الحيلة، فقرر إرسال رسله إلى طغرلبك لإبلاغه برفضه، واستمرت الأزمة قائمة وأرسل طغرلبك جزءًا من المهر وبعض الهدايا القيمة مع وزيره الكندرى وكبار الأمراء إلى بغداد[١٠].

---

[١] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ٤٩٧، ج ١٩، ٦٣.

[٢] للمزيد انظر. ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣١، ١٦ – ٣٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٤٢ – ٣٤٥.

[٣] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١١٢.

[٤] **أبو سعد يحيى بن محمد قاضى القضاة:** من أسرة معروفة بولاية القضاء تولاه في مدينتي نيسابور والري، وتوفى في الري عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م. إبراهيم بن محمد الصريفيني، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور (بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٩)، ٤٨٤–٤٨٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ١٢٥.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٦٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١١٢.

[٦] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٦٥؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج١، ١٦٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١١٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٢، ٨٦.

[٧] غريغوريوس أبو الفرج بن هارون ابن العبري، تاريخ الزمان (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦)، ١٠٥.

[٨] ابن العمراني، الإنباء، ١٩٨.

[٩] حسين أمين، العراق في العصر السلجوقى،٧٠ ؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٩)، ٢٤٣.

[١٠] اشترط الخليفة إقامة السلطان طغرلبك في بغداد بشكل دائم، وطلب ثلاثمائة ألف دينار للمهر، ومدينة واسط وبعض الإقطاعات الأخرى. للمزيد انظر. ابن الجوزى، المنتظم، ج ١٦، ٦٥ – ٦٦؛ العماد الاصفهانى، نصرة الفترة، ج ١، ١٦٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٨ ، ٣٥٧؛ سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج ١٩، ١١٢ – ١١٣.

ولهذا عقدت في بيت النَّوْبة الجلسة الثانية في جمادى الأولى من نفس العام برئاسة الوزير العباسي ابن دارست[١]، وقام الكندري ومن معه من الأمراء بتسجيل حضورهم إلى البيت في دواة الوزير[٢]، وعرضوا الموضوع مرة أخرى، وقوبل برفض الخليفة الذى هدد بمغادرة بغداد، ثم دارت العديد من المناقشات وباءت جميعها بالفشل، لهذا واجه طغرلبك الأمر بالقوة، وأصدر عدة قرارات اجتماعية واقتصادية لإرغام الخليفة على الموافقة، منها أنه طلب من ابنة أخيه– زوجة الخليفة– مغادرة دار الخلافة[٣]، كما كتب طغرلبك إلى النهاوندي عميد العراق[٤] بمصادرة بعض الإقطاعات المخصصة للخليفة القائم بأمر الله[٥].

أقيم لذلك الاجتماع الثالث ببيت النَّوْبة عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م، وفيه عرض النهاوندي رسائل طغرلبك، وكان الخليفة القائم حاضرًا وعلق بقوله:"أما الإقطاعات فبين أيديكم"[٦]، وفى هذا إشارة إلى الحالة السيئة التى كان عليها، وظلت الأزمة قائمة لنهاية العام، وبسبب الضغوط التى فرضها طغرلبك على الخليفة، اضطر للموافقة على زواجه من ابنته عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م[٧]، وأرغمته عوامل الضعف والخوف خشية أن يتخلوا عنه أو ينقلبوا ضده[٨]، وتمت مراسم الزواج في بغداد في صفر عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، ثم أرسل طغرلبك وزيره الكندري إلى البيت في ربيع الأول لطلب الإذن من الخليفة لمغادرته بغداد مع زوجته والسيدة أرسلان خاتون زوجة الخليفة[٩]، فرفض القائم في البداية الإذن بسفر خاتون ثم أُضطر للموافقة[١٠]، وكان هذا آخر الاجتماعات بينهما قبل وفاة طغرلبك.

شهد أيضًا بيت النَّوْبة في شوال من العام نفسه جلسة مهمة، عقدت بقرار من الخليفة القائم بأمر الله، وحضرها قاضي القضاة الدامغانى، للحد من سوء إدارة أبو سعيد القايني[١١]– عميد العراق– وسيطرته المالية على

---

[١] **أبا الفتح منصور بن أحمد:** تولى الوزارة لمدة سنة وعدة أشهر من ربيع الأول ٤٥٣هـ/١٠٦١م إلى ذي الحجة عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م وتوفي عام ٤٦٧هـ/١٠٧٤م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٧٦، ١٧٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١١٣– ١١٤، ٣٠٨.

[٢] العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٦٥؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ٢١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١١٧.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ٦٧ – ٦٩؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٦٥– ١٦٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٥٧ – ٣٥٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١١٧– ١١٩.

[٤] **أبو أحمد بن عبد الواحد:** ولاه طغرلبك هذا المنصب عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م وهو يلي الوزير في المكانة، وكان مسئولًا عن ضمان خراج بغداد بمبلغ سنوي كل عام، وتوفى النهاوندي عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٦٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج ١٩، ١١٤، ١٢٠،٣٢١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ١٢٨.

[٥] قام طغرلبك بزيادة قيمة مخصصات الخليفة القائم بأمر الله المالية، ولما أصر الخليفة على رفض زواجه من ابنته أمر بتخفيضها. ابن العمراني، الإنباء، ١٩٧؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة ، ج ١، ١٦٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٢٣ – ١٢٤.

[٦] العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٦٨؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ٢٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٢٣.

[٧] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٧٢؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٦٨.

[٨] عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ٤٤؛ حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ٥٦؛ وفاء محمد علي، الزواج السياسي في الخلافة العباسية، ٩٤.

[٩] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٨١؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة ، ج ١، ١٧٨؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ٢٧.

[١٠] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٤٧– ١٤٨، ١٥١.

[١١] كلف السلطان طغرلبك القايني بدفع ضمان بغداد بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار، وقيل بمائة وثمانية وخمسين ألفًا، ولجمع هذا لجأ إلى فرض الكثير من الضرائب التى ألغيت في فترة النهاوندي عميد العراق السابق، ولهذا ساءت سيرة القايني بين الناس، وكان قبل

حسابات الإقطاعات المخصصة للخليفة، وكان السلطان طغرلبك ولاه هذا المنصب قبل وفاته بهدف الاستئثار بجميع السلطات في العراق وضم موارده المالية إلى الخزانة السلجوقية[١]، فأرسل إليه الخليفة:"قد كنت تنظر في هذا البلد من قبل ملك مضى لسبيله، فإما أن ترفع يدك ...وإلا فاخرج من هذا البلد"، ولهذا تقرر أن يحضر القايني إلى البيت لمحاسبته على ما لديه من الأموال، فأقر أمام قاضي القضاة بمبلغ ثلاثين ألف دينار، ثم تقرر اعتقاله لأنه لم يكن معه المبلغ، وأفرج عنه بعد عدة أشهر[٢]. عكس بيت النَّوْبة الكثير من العلاقات السياسية بين الخليفة القائم بأمر الله ودولة السلاجقة في عهد السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ – ٤٦٥هـ/١٠٦٣ – ١٠٧٢م)، وحرص السلطان على إقامة الدعوة له ببغداد لصبغ ولايته بالصبغة الشرعية، وأمر بعودة ابنة الخليفة إلى بغداد بعد وفاة زوجها طغرلبك، وأرسل رسله لذلك في شهر ربيع الآخر عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م[٣].

اجتمعت الرسل في بيت النَّوْبة لعرض رسائل السلطان، وكان من بينهم"محمد بن عبد الرحمن"، وهو من كبار القضاة[٤]، وعقدت الجلسة برئاسة الوزير ابن جهير، وكان قاضي القضاة ابن الدامغاني حاضرًا، فاحتج علي ترتيب جلوس القاضي في الاجتماع، حيث كان ترتيبه أعلى منه بوصفه ضيفًا في بغداد، وفى رأينا كانت مكانته الكبيرة سببًا أيضًا، ولم يُقبل احتجاج ابن الدامغاني، ومن الواضح أنه أساء التعبير، لذا عوقب بالخروج من المجلس، وأن: "يجلس فى روشن بيت النَّوْبة بمعزل من المجلس"، ولم توضح المصادر لماذا أبعد عن المجلس فقط وليس عن البيت؟ ومن الراجح أنه كان لايزال لديه عملًا بالبيت، ثم ألقى القاضي محمد بن عبد الرحمن خطبة تحدث فيها عن ألب أرسلان، وقام بتسليم الرسائل المرسلة باسم الخليفة القائم بأمر الله والوزير ابن جهير، وكتب الخليفة إلى السلطان وشكره على إعادة ابنته، وقرر إقامة الدعوة له فى منابر الخلافة[٥].

عقد فى بيت النَّوْبة بعض الاجتماعات عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، وظهر فيها اهتمام ألب أرسلان بتوطيد علاقته بالقائم بأمر الله، حيث أيد رأى الخليفة عندما اعترض على سوء إدارة الموظفين التابعين لدولة السلاجقة في الخلافة العباسية، وهم:النهاوندي، وإيتكين السليماني[٦]، الذى كان يتولى وظيفة الشحنة[٧] في بغداد، وكان الخليفة

ولايته مسئولًا عن مطبخ الوزير الكندري. العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٧٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٦٠.

[١] محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ٢٤٢.

[٢] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٥٣، ١٦١.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٨٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٦٦– ٣٦٧؛ ابن كثير، البداية، ج ١٢، ٩١.

[٤] أبو عمرو **محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي النسوى:** عرف بالقاضي الرئيس، وهو من أكابر عصره، وكان له قبول كبير عند الملوك والسلاطين، وكثيرًا ما بعث رسولًا إلى الخلافة، ولاه الخليفة القائم بأمر الله القضاء في خوارزم وفراوة ونسا ولقبه بأقضى القضاة، وله العديد من المؤلفات في الفقه والتفسير، وقام ببناء مدرسة في خوارزم، وتوفى عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥ م. الصريفيني، المنتخب من تاريخ نيسابور، ٧١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٣٠٧؛ أبو نصر عبد الوهاب السبكي : طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٤)، ١٧٥– ١٧٧.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٨٦ – ٨٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٦٢.

[٦] تولى الأمير إيتكين السليماني الشحنة في بغداد عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م، وتوفي عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م . ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٥٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٣٥٧.

[٧] **الشحنة:** وظيفة يوليها السلطان في بلد ما لضبط الأمن به، وشحن البلد في اللغة بمعنى ملأه بالخيل. ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ٤٤٧؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ٤٧٤.

قد أمر بحضورهما إلي البيت وتوجيه اللوم لهما، فعقدت لذلك جلسة في شهر جمادى الآخرة برئاسة الوزير ابن جهير ووجه لهما نقدًا لاذعًا، فاشتكى لذلك النهاوندي للخليفة، ثم قام بمصادرة بعض مخصصات الوزير، فأيد الخليفة موقف الوزير، ولما بلغ ذلك السلطان ألب أرسلان أمر النهاوندي بالامتثال لأوامر الخليفة[١].

كانت انتصارات دولة السلاجقة على الدولة البيزنطية من أسباب عقد العديد من الاجتماعات في بيت النَّوْبة للإعلان عن هذه الانتصارات والاحتفال بها، وقراءة خطاب السلطان المرسل، ففي شهر رمضان عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م، عقد بالبيت اجتماع بعد الانتصار الكبير الذي حققه ألب أرسلان[٢]، وقام الوزير ابن جهير بقراءة الخطاب بين الحضور، وعلى الرغم من أهمية هذا الاجتماع بالنسبة لدولة السلاجقة، إلا أن النهاوندي لم يحضره لخلافه مع الوزير، لذا تقرر حضوره في البيت لعقد مصالحة بينهما، خاصة بعدما أيد ألب أرسلان موقف الخليفة والوزير– كما سبق أن أوضحنا– فحضر النهاوندي، وأظهر التودد وامتثل لأوامر السلطان[٣].

هناك مسألة دينية مهمة نوقشت في بيت النَّوْبة، تتعلق بتوقف موسم الحج من بلاد المشرق الإسلامي والعراق بسبب مشاكل الطريق إلى مكة، وعقد لذلك العديد من الاجتماعات في البيت، وكان الحج توقف لما يقرب من نصف قرن[٤]، وقد وعد السلطان طغرلبك عند دخوله بغداد عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م بحل هذه الأزمة، وكانت هدفًا من أهدافه[٥]، كما اهتم نظام الملك[٦]وزير السلطان ألب أرسلان، بإيجاد حل لها، وطلب من أبى سعيد القايني– عميد العراق– حلها، فاجتمع مع الوزير ابن جهير عدة مرات في بيت النَّوْبة في رمضان عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م بعد وصول قافلة حجاج خراسان إلى العراق، وتقرر الاهتمام بأعداد الخفراء من القبائل العربية لتأمين الحجاج[٧]، وسار نقيب العباسيين الكامل طراد الزينبي ومعه بعض الحجاج، لكنهم لم يتمكنوا من أداء

---

[١] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٦٦– ١٦٧.

[٢] نجح السلطان ألب أرسلان في دخول مدينة "**آني**"، وكانت قلعة حصينة ومعقل مهم للدولة البيزنطية فى أرمينية، وتحيط بها الجبال الشامخة والحصون. للمزيد انظر. على بن ناصر الحسيني، زبدة التواريخ (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٦)، ٩٣–٩٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ٥٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٦٩–٣٧٠.

[٣] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٦٦.

[٤] أدى تكرر **غارات الأعراب** علي قوافل الحجاج القادمين من المشرق الإسلامى والعراق فى طريق مكة إلى توقف الحج، ولهذا كثيًرا ما انتشرت عبارة : لم يحج أحد من العراق أو من خراسان في هذا العام في كتابات المؤرخين، وذلك في الفترة من عام ٤٠٩هـ/١٠١٩ إلى عام ٥٥٤هـ/١٠٦٢م، وقد حاول السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (٣٨٨ –٤٢١هـ/٩٩٨ –١٠٣٠م) حل هذه المشكلة عام ٤١٢ هـ/١٠٢٢بدفع مبلغ ثلاثين ألف دينار للأعراب، ومع ذلك ظلت الأزمة قائمة. للمزيد انظر. ابن كثير، البداية، ج ١٢، ٧–٨، ١١، ١٩–٢٠، ٢٣، ٢٥–٢٦، ٢٩، ٣٢، ٣٤–٣٧، ٤٠ ،٤٥ ،٤٧ ، ٤٩–٥٠، ٥٢–٥٦ ،٥٨ – ٦١، ٦٤–٦٥ ،٦٧–٦٩، ٨٤–٨٨.

[٥] ابن العمراني، الإنباء، ١٨٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٣٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٢٢.

[٦] **أبو علي الحسن بن علي الطوسي:** من أهم وزراء السلاجقة، تولى الوزارة لمدة قاربت على الثلاثين عامًا للسلطان ألب أرسلان ومن بعده للسلطان ملكشاه، وكان مهتمًا بالعلم والعلماء وببناء المدارس والمساجد والأربطة، وقام ببناء المدرسة النظامية ببغداد، وتوفى عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٣٠٢،٣٠٤.

[٧] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٧٥.

الحج، بسبب غدر الخفراء بهم واستيلائهم على أمتعتهم وأموالهم فاضطروا للعودة إلى بغداد[١]، وقاد الحسين أخو أبى الغنائم نقيب الطالبيين فريقًا آخر، ونجحوا في أداء الحج في هذا العام[٢].

استقبل بيت النَّوْبة أبا سعد المستوفي[٣] رسولًا عن السلطان ألب أرسلان فى شهر جمادى الأولى[٤] عام٤٥٩هـ/١٠٦٧م، وأرسل معه مجموعة من الهدايا القيمة إلى الخليفة القائم بأمر الله، بالإضافة إلى بعض الرسائل التى تتعلق بتوطيد العلاقات بين الدولتين، وعكست هذه الرسائل المكانة التى صارت للوزير ابن جهير لدى السلطان ألب أرسلان، حيث قرر تغيير أسلوب مخاطبته في الرسائل، بكتابة:"الوزير الأجل" بدلا من "الرئيس الأجل"[٥]، ولهذا تجرأ الوزير ابن جهير وطلب خلعا من السلطان، فأرسل إليه في شهر ذي القعدة من العام نفسه خلعا قيمة[٦]، فكتب الوزير إليه وشكره، وعقد اجتماعا فى البيت للاحتفال بهذه الخلع، وقام بارتدائها وهنأه الحضور، وعكس هذا الأمر تطور علاقته بالسلطان ألب أرسلان، فلم يحدث من قبل أن خلع السلطان السلجوقي على أحد الوزراء العباسيين، بل كان الوزير هو الذى يحمل خلع الخليفة إلي السلطان[٧].

لهذا حرص ابن جهير على إعلان ذلك بين الناس والتفاخر به بين جمع كبير فى بيت النَّوْبة، ولم يكن يدرك أنه قد يخسر وظيفته بسبب كراهية الخليفة لتطور علاقته بالسلاجقة، لأنه كان على حد قول سبط ابن الجوزي مهتمًا بمباشرة أمور الخلافة بنفسه، بينما كان ابن جهير– كعادة الوزراء– يميل إلى إحكام سيطرته على الأمور ولهذا قرر الخليفة القائم عزله من الوزارة بعد عام فى ذى القعدة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م، وكتب إليه أن من أسباب عزله:"أنك كتبت إلى ...ألب أرسلان تطلب خلعة من غير استئذان ...وسألت لبسها في الدار العزيزة والتجمل بها، فقيل لك: هذا ما لا يجوز الإذن فيه، لأنه إنما يتجمل بما يلبس مما يخرج من الدار، لا بما يجيء إليها، فلم تفعل وعزمت على مكاتبة ألب أرسلان وسؤاله أن يشفع فيك...فأذنا لك على مضض، وجمعت الناس في بيت النَّوْبة ولبستها وهنيت بها"، فتقرر عزله، ثم أعيد للوزارة بعد عدة أشهر[٨].

---

[١] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٩١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٧٥؛ ابن كثير، البداية، ج ١٢، ٩٢.

[٢] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٧٥؛ ابن كثير، البداية، ج ١٢، ٩٢.

[٣] **شرف الملك منصور بن محمد المستوفي:** كان مسئولًا عن ضبط الديوان والنواحى المالية به، واهتم شرف الملك ببناء المدارس بمرو وأوقف عليها كتبًا قيمة، وبنى ببغداد مدرسة لتدريس المذهب الحنفي، وتوفي بأصبهان عام ٤٩٤هـ/١١٠١م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ٧٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ٤٦٦.

[٤] وقيل فى صفر. العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٩٥؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ٣٤.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ١٠٠؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ١٩٥؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ٣٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٩٤.

[٦] كانت عبارة عن فرجية طميم، وهو ثوب واسع، طويل الأكمام يصنع عادة من الجوخ ، والطميم بمعنى قماش متين، وعمامة مذهبة ومركب ذهب على فرس. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٩٦؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ٦٧٩؛ رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج ٧ (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠)، ٧٥، ج ٨، ٣٤.

[٧] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٥٩.

[٨] أشار ابن الجوزي إلى هذا السبب دون ذكر بيت النوبة. المنتظم، ج ١٦، ١٠٦، وانفرد سبط ابن الجوزي بهذه التفاصيل، مرآة الزمان، ج ١٩ ، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٨.

نوقش في بيت النَّوْبة بعض الأمور التى تتعلق بالناحية الثقافية في بغداد، فعقد به عدة اجتماعات بشأن المدرسة النظامية، وكان الوزير نظام الملك قد أمر ببنائها لتدريس المذهب الشافعي وسميت لهذا باسمه[١]، وقيل بناها خصيصًا للفقيه الشافعي أبى إسحاق الشيرازي ليتولى التدريس بها[٢].

فعهد الوزير نظام الملك إلى القايني– عميد العراق– بأمر بنائها، وبعد انتهائه منها عقد اجتماعًا في المدرسة حضره جمع كبير في ذي القعدة عام ٤٥٩هـ/١٠٦٧م، ورفض أبو إسحاق الشيرازي حضور الاجتماع والتدريس بها، لقيام القايني بإجبار الناس على ترك دورهم وهدمها لأجل بناء المدرسة[٣]، فتولى التدريس بها فقيه آخر[٤]، ولما بلغ ذلك الوزير نظام الملك وبخ القايني ولامه وقال له:"لمن بَنيت هذه المدرسة إلا لأبي إسحاق"[٥]، لهذا اضطر القايني إلى عقد اجتماع ببيت النَّوْبة لإيجاد حل لموقف أبي إسحاق، ووصل الأمر إلى الخليفة القائم فكتب إلى الفقيه أبى إسحاق الشيرازي وأقنعه بالتدريس بها[٦]، وأقيم اجتماع آخر في البيت برئاسة الوزير ابن جهير في عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م، وحضره القضاة والشهود العدول، وفيه تم إقرار الأوقاف التى خصصها الوزير نظام الملك للمدرسة، وكان من بينها سوق المدرسة وعدة ضياع[٧]، وقاموا بكتابة كتاب الشرط الخاص بها[٨].

برز دور بيت النَّوْبة بإعتباره بيت الدولة خلال الاحتفالات التى أقيمت ببغداد عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م[٩]، إثر عودة مدينة حلب إلى تبعية الخلافة العباسية، حيث قرر أميرها محمود بن نصر[١] خلع طاعته للخلافة الفاطمية،

---

[١] هى أول مدرسة بنيت في الإسلام وتقع على نهر المُعَلي، وبدء في بنائها في ذي الحجة عام ٤٥٧ هـ/١٠٦٥ م، واهتم الوزير نظام الملك بأن يخصص بها أيضًا دروسًا في قراءة القرآن والوعظ واللغة العربية. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٣٠٤ ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٧٧؛ الدواداري، كنز الدرر، ج ٦، ٤٧٩.

[٢] **إبراهيم بن علي بن يوسف:** ولد بفيروزاباد بفارس واستقر ببغداد وبلغ مكانة كبيرة في الفقه الشافعي، وله العديد من المؤلفات منها طبقات الفقهاء، وظل مدرسًا بالمدرسة النظامية حتى وفاته عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ٢٢٨–٢٢٩؛ أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج١ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨)، ٢٩– ٣١.

[٣] هدم لأجل بناء المدرسة العديد من الدور بعدة مناطق ببغداد مثل مشرعة الزوايا والفرضُة وباب الشعير ودرب الزعفراني. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٩١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٧٧– ١٧٨.

[٤] **هو الفقيه الشافعي ابن الصباغ:** كان يضاهي أبا إسحاق الشيرازي في المكانة، تولى التدريس بالمدرسة النظامية عشرين يومًا. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ٢١٧– ٢١٨.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ١٠٢– ١٠٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٨٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٩٦– ١٩٧.

[٦] اكتفى الفقيه بالتدريس فقط. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٩٧.

[٧] سبط ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٩، ٢٢١.

[٨] تم التأكيد فيه على أن المدرسة وأوقافها مخصصة للمذهب الشافعي، واشترط وجود واعظ ونحوى ومقرئ القرآن. للمزيد انظر. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٣٠٤.

[٩] اتفق بعض المؤرخين في تحديد هذا العام ومنهم سبط ابن الجوزي وابن العديم والمقريزي وذكر البعض الآخر أنه كان في العام التالى. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٨٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٢٢٣؛ أبو القاسم عمر بن أحمد ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج ٢ (دمشق: المعهد الفرنسى، ١٩٥١)، ١٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ١٤١؛ أحمد بن على المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، ج ٢ (القاهرة: لجنة إحياء التراث، ١٩٩٦)، ٣٠٢.

وإقامة الخطبة باسم الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان[٢]، لذا وضعت مظاهر الزينة على باب البيت، ومن الراجح أنه عقد به اجتماعا لقراءة الرسائل الواردة من حلب، مثلما كان يحدث من قبل مع العديد من الرسائل خاصة أن سبط ابن الجوزي أشار إلى قراءتها في دار الخلافة دون أن يحدد المكان[٣].

كانت انتصارات السلطان ألب أرسلان على الدولة البيزنطية –كما أوضحنا من قبل– سببًا لعقد العديد من الاجتماعات في بيت النَّوْبة، ولهذا بعد الانتصار المهم الذى حققه السلطان عند مدينة ملازكرد[٤]، اجتمع في البيت الكثير من رجال الدولة في ذي الحجة عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م، وأشار إليهم ابن الجوزي بقوله:"جُمع الناس في بيت النَّوْبة وقرئت كتب الفتح"، وانتشرت مظاهر الاحتفال في جميع أنحاء بغداد[٥].

أقيم في بيت النَّوْبة مراسم استقبال مؤيد الملك ابن الوزير نظام الملك[٦]عند وصوله إلى بغداد في رجب عام ٤٦٦هـ/١٠٧٤م، وحدث هذا لأول مرة، وكان من الاجتماعات التى عقدت فيه بصفة استثنائية، حيث كان كبار الشخصيات يستقبلون بمراسم استقبال رسمية عقب وصولهم إلى بغداد[٧]، ولكن على غير المعتاد في النظام المتبع في بيت النَّوْبة، اسُتقبل مؤيد الملك تعويضًا عن عدم تنظيم استقبال له، لانشغال كبار رجال الدولة

---

[١] **محمود بن نصر بن صالح بن مرداس:** عرف أيضًا باسم ابن الزوقلية نسبة إلى أمه، التى كانت من بنى كلاب، وتولى الحكم في حلب لمدة عشر سنوات (٤٥٧-٤٦٧هـ/١٠٦٥-١٠٧٥م) وتوفي عام ٤٦٧هـ/١٠٧٥م . سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٢٢٣؛ أبو القاسم عمر بن أحمد ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١ (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨) ٥٣٧؛ زبدة الحلب، ج ٢، ٤٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٢٥٥.

[٢] يمثل هذا الموضوع حلقة مهمة من حلقات الصراع بين الخلافة الفاطمية والخلافة العباسية حول مناطق النفوذ في العالم الإسلامي، وكانت حلب تتبع الخلافة الفاطمية ثم أسقطت تبعيتها لها منذ ذلك العام ولم تعد مرة أخرى، وقيل إن ضعف الخلافة الفاطمية من ناحية وقوة دولة السلاجقة من ناحية أخرى كانت وراء اتخاذ الحلبيين هذا القرار، بالإضافة إلى مساعي الوزير العباسي ابن جهير. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٨٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٢٢٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ١٤١؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ٣٠٢.

[٣] مرآة الزمان، ج ١٩، ٢٢٣.

[٤] بدأ الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع Romans1V (٤٦٠-٤٦٣هـ/ ١٠٦٨- ١٠٧١م) بالهجوم بجيش كبير وحقق السلطان ألب أرسلان انتصارًا كبيرًا عند ملازكرد، وهى مدينة مشهورة في أرمينية بالقرب من خلاط، وعُرفت أيضًا باسم منازجرد، وأسر الإمبراطور البيزنطى في المعركة، ثم أفرج عنه بعدما وعد بدفع جزية سنوية كل عام، للمزيد انظر.العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ١، ٢١٢– ٢٢٦؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ١١٠ – ١١٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ٢٠٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٣٨٨– ٣٨٩؛ الراوندي، راحة السرور، ١٨٨– ١٩٠.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ١٢٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٢٣٩.

[٦] **عبد الله أبو بكر مؤيد الملك:** تولى الوزارة للسلطان بركياروق عام ٤٨٧هـ/١٠٩٣م، ثم عزل منها بعد عام، ثم تولاها للسلطان محمد عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م لمدة عامين تقريبا، وقتل في الحرب الدائرة بين السلطان محمد وأخيه بركياروق عام ٤٩٤هـ/١١٠١م، وكان في الخمسين من عمره. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٥١٣ ، ٥١٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٤٨٠، ٤٨٢، ٦٦٨.

[٧] كان متبعًا في مراسم الاستقبال الرسمية خروج موكب كبير يضم كبار رجال الدولة في مقدمتهم الوزير، وأشار إلى ذلك سبط ابن الجوزي بقوله: "خرج الناس علي طبقاتهم"، للمزيد انظر. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٥٢، ج ١٧، ٥٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١٣٧، ٢٢٢.

بفيضان نهر دجلة وآثاره السيئة على جوانب الحياة في بغداد[١]، وبسبب اعتراض مؤيد الملك على عدم اتباع المراسم المعتادة معه استقبله الوزير ابن جهير في البيت[٢].

اتضح مما سبق جانب مهم من دور بيت النَّوْبة أو بيت الدولة في عهد الخليفة القائم بأمر الله، وتعد هذه الفترة – في رأينا– أهم فترات البيت وأزهاها، فلم يخل عام تقريبا من عقد الاجتماعات المهمة به على صعيد الخلافة الداخلي والخارجي وفي كافة المجالات.

دور بيت النَّوْبة حتى سقوط الخلافة العباسية: عقد بالبيت العديد من الاجتماعات المهمة، ثم قل دوره تدريجيًا، ولم يرد ذكره إلا قليلًا في المصادر العربية ويرجع هذا– في رأينا– إلى إقامة دور أخرى في دار الخلافة حلت محله في بعض اختصاصاته، وظل بيت النَّوْبة باقيًا حتى سقوط الخلافة، واقتصر دوره– كما سنوضح– على إقامة مراسم العزاء عند وفاة أحد الخلفاء أو من أفراد الأسرة العباسية.

شهد بيت النَّوْبة في عهد الخليفة المقتدي بأمر الله (٤٦٧– ٤٨٧هـ/١٠٧٥–١٠٩٤م) عدة اجتماعات، كانت أغلبها مراسم تعيين كبار رجال الدولة، وأمراء القبائل العربية في العراق ومنحهم الخلع بعد صدور قرارات الخليفة بذلك، ففى شوال عام ٤٦٨هـ/١٠٧٦م أسند الخليفة منصب الوزارة إلى أبي منصور عميد الدولة ابن الوزير ابن جهير[٣]، وقام ابن الموصلايا– الكاتب المعروف– بكتابة توقيع الخليفة بذلك، ونُظم اجتماع في البيت اتبعت فيه المراسم الرسمية المعتادة من حضور جمع كبير من كبار رجال الدولة والأعيان، وقرئ قرار الخليفة أمام الحضور ومُنح الوزير عميد الدولة الخلع القيمة[٤].

ومن الملاحظ أن الحضور إلى بيت النَّوْبة كان في بعض الأحيان بهدف إظهار الولاء والطاعة للخليفة بوصفه بيت الدولة، ولهذا بعد وصول مؤيد الملك ابن الوزير نظام الملك إلى بغداد واستقباله استقبالًا رسميًا، حرص أيضًا على الذهاب إلى البيت في صفر عام ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، و"خدم[٥]"، ثم غادر[٦].

أقيم ببيت النَّوْبة مراسم ولاية بعض أمراء القبائل العربية في العراق، وكانت تتم في الأغلب بعد وفاة أحد الأمراء لإضفاء الصفة الشرعية على ولاية الأمير الجديد، لذا تقرر بعد أشهر قلائل من وفاة أمير الحِلة دبيس بن مزيد في شوال عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨٢م[٧] حضور ابنه منصور[١] إلى البيت وإقامة مراسم ولايته، خاصة بعد

---

[١] تسبب فيضان نهر دجلة هذا العام في سقوط العديد من الدور ووفاة الكثيرين، ومن استطاع الهروب إلى الجانب الغربى كان أقل تضررًا وقيل لمؤيد الملك بن نظام الملك في سبب عدم استقباله:" قد علمت العذر في ترك تلقيك من كثرة الطين والخراب". سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٢٧٦– ٢٧٩.

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ١٥٧؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج١، ٢٣٨– ٢٣٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٢٧٩.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ١٧١.

[٤] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٣١٠.

[٥] بمعنى أظهر الطاعة والخضوع. دوزي ، تكملة المعاجم العربية، ج٤، ٣٠.

[٦] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٣٣٣.

[٧] ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٤٢٥.

وصوله إلى بغداد في طريق عودته من أصبهان[٢]، فتم إعداد محضر رسمى وأجل التوقيع عليه من قبل القضاة والنقباء والأشراف لوقت الاجتماع، الذى حدد في يوم السبت الموافق منتصف صفر عام ٤٧٥هـ/١٠٨٢م في ساعة مبكرة من اليوم وبعد حضور الجميع غاب الأمير منصور لاضطراره للسفر إلى الحلة، بسبب سوء الأحوال هناك إثر وفاة والده، فأرسلت الخلع إليه[٣].

كما تقرر بعد وفاة الأمير مسلم بن قريش حضور ابنه محمد[٤] إلى البيت في جمادى الآخرة عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، وعقدت به مراسم ولايته برئاسة الوزير أبى شجاع[٥]، ومُنح الخلع المعتادة[٦].

أقيم فى عهد الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ – ٥١٢هـ/١٠٩٤– ١١١٨م) عدة اجتماعات في بيت النَّوْبة، وخصصت لمناقشة الأزمات التى واجهت الخلافة، فقبل وفاة الخليفة المقتدي بأمر الله كان السلطان السلجوقى بركيارق (٤٨٧– ٤٩٨هـ/١٠٩٤– ١١٠٥م) في زيارة لبغداد لإتمام مراسم ولايته الرسمية من قبل الخلافة، وقام المقتدي بإعداد الأوراق الخاصة به والتوقيع عليها، وحالت وفاته في المحرم عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م دون استكمالها، ولما ولى الخليفة المستظهر بالله اختار عميد الدولة بن جهير وزيرًا له، فأخفى خبر وفاة المقتدي وأسرع في اليوم التالي بإتمام مراسم ولاية السلطان، خشية وقوع أية اضطرابات من قوات الجيش وضمن ولاءهم بمنحهم بعض الأموال، وبعد تداركه لهذه الأزمة سار الوزير إلى بيت النوبة واجتمع مع الخليفة وأبلغه بتطورات الأمور[٧].

وكان نفى إثبات نسب الفاطميين إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الموضوعات الدينية المهمة التى عرضت في بيت النَّوْبة، ويعد من أهم الأسلحة التى استخدمتها الخلافة العباسية في عدائها الشهير مع الخلافة الفاطمية، ولهذا كثيرًا ما قاموا بكتابة محاضر بنفي نسبهم، وقام بالتوقيع عليها لتأكيد صحتها القضاة والفقهاء والأشراف في بغداد[٨]، ولهذا عندما تكلم التاجر حامد الأصفهاني بصحة نسبهم وانتشر بحكم عمله بين الناس ببغداد، واجه الخليفة هذه الأزمة بقوة، وقرر القبض على التاجر وظل معتقلًا حتى تُوفي، وأصدر أوامره بعقد

---

[١] **أبو كامل بهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد الأسدي:** تولى الحِلة عدة سنوات ثم توفي عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م . ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٢٢٠، ٢٥٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٤٥٠.

[٢] سافر الأمير منصور إلى السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥– ٤٨٥هـ/ ١٠٧٣– ١٠٩٢م) بعد وفاة والده في ذي القعدة عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨٢م، ليقره على ولايته على الحلة. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٤٢٥.

[٣] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٣٦٣– ٣٦٤.

[٤] **محمد بن مسلم بن قريش:** تولى الرحبة والرقة وحران، وأسندت الموصل والجزيرة إلى عمه إبراهيم بن قريش، وتوفي محمد عام ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٤٠٣– ٤٠٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ٤٨٤.

[٥] **أبو شجاع محمد بن الحسين الروذراوري:** تولى الوزارة للخليفة المقتدي بأمر الله منذ عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م حتى عزل في رمضان عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م، وقام بتأليف العديد من المؤلفات منها كتاب الذيل على تجارب الأمم لابن مسكويه، وتوفي عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ٥٠٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٤٢٩، ٤٧٢– ٤٧٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٦٠٦.

[٦] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٤٠٤.

[٧] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ١٠، ١٢.

[٨] حدث ذلك عامى ٤٠٢هـ/ ١٠١١م و٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ٨٢ – ٨٣، ٣٣٦.

اجتماع في البيت في ربيع الآخر عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، بهدف تغيير ما أشيع عن الفاطميين، ولهذا تقرر أن يحضره جمع كبير من الناس، ليساهموا في نشر رأي الخلافة، كما حضر الاجتماع بني هاشم المنسبيين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوا بالدليل نفي نسب الفاطميين، وقرىء توقيع الخليفة أمام الحضور ووصف فيه الفاطميين بالإلحاد والكفر[١].

وتعد قضية الحملة الصليبية الأولى على أنطاكية وكيفية مواجهتها، من الأزمات التى نوقشت في بيت النَّوْبة في ربيع الآخر عام٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، وعقد به اجتماع بدعوة من السلطان السلجوقي بركيارق، وبرئاسة الوزير عميد الدولة ابن جهير، وحضره بعض الأمراء في العراق[٢]، وقاموا ببحث كيفية المساعدة لإنهاء الحصار الصليبي للمدينة[٣]، وتقرر الاستعداد للقتال ثم مالبث أن خابت الآمال بعد نجاح الحملة الصليبية في احتلال أنطاكية[٤].

بدأ دور بيت النَّوْبة الخاص بإقامة مراسم تعيين كبار رجال الدولة يتقلص، وأصبحت تقام في باب الحُجرة[٥] في دار الخلافة، وظهر هذا الرأي من كتابات ابن الجوزي في عهد المستظهر بالله[٦]، في حين أوضح ياقوت الحموي أن الخليفة التالي المسترشد بالله (٥١٢ – ٥٢٩هـ/ ١١١٨– ١١٣٥م) هو من اهتم بتخصيص باب الحجرة لاستقبال الوزراء وكبار رجال الدولة ومنحهم الخلع[٧]، وهذا يفسر في رأينا قلة ظهور بيت النوبة في المصادر العربية منذ عهد الخليفة المسترشد بالله.

---

[١] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ١٧.

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ٤٣.

[٣] استمر الحصار الصليبي لأنطاكية لمدة تسعة أشهر، وكان قد بدأ منذ أواخر شهر شوال عام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، ثم نجحوا في احتلالها في شعبان عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م. للمزيد انظر. ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ١٤– ١٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٤٩١؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ١٣١– ١٣٨.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ٤٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ٤٩٠.

[٥] هى احدى الدور المهمة بدار الخلافة ووصفها ياقوت الحموي بأنها دار عظيمة الشأن عجيبة البنيان، وأشير إليها في عهد الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢–٤٦٧هـ/١٠٣١–١٠٧٥م)، مما يوضح أنها أسست في عهده، وجاء ذكرها عندما انتقد الخليفة الوزير ابن جهير في سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م لدخوله إليها بدون استئذان وكان ذلك من أسباب عزله، ومن الواضح أنها استخدمت رسميًا بدلا من بيت النوبة منذ عهد الخليفة المستظهر بالله، بينما ذكر ياقوت أنها أُسست في عهد الخليفة المسترشد بالله (٥١٢– ٥٢٩هـ/ ١١١٨ – ١١٣٥م) ومن الراجح أنه اختلط عليه أمر تأسيسها مع اهتمام المسترشد بتنظيم إقامة مراسم تعيين كبار رجال الدولة بها، وأقيمت بها بعد ذلك العديد من الاجتماعات. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ١٠٦، ج١٧، ٢٠٤– ٢٠٥، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٩٩، ج١٨، ١٠٦، ١٧٦، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ٣٠٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩،٢٠١، ج ٢٠، ٢٤٧، ج ٢١، ٢٧٧، ج٢٢، ١٤٥– ١٤٦.

[٦] اجتمع بعض رجال الدولة في باب الحجرة في عهد المستظهر بالله، وكرموا ومنحوا الخلع ومنهم أبو القاسم بن الحصين صاحب المخزن عام ٥٠٠ هـ/١١٠٦م، وابن الخزري عام ٥٠٥هـ/١١١١م، والراجح أنه تولى المخزن في ذلك الوقت حيث عزل ابن الخزري منه عام ٥١٢هـ/١١١٨م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ١٠٠، ١٢٣، ١٦٣.

[٧] معجم البلدان، ج ١، ٣٠٧.

وقد ورد ذكر البيت في عهد المسترشد بالله عند الحديث عن انضمام بعض الأمراء من دولة السلاجقة إلى الخليفة أثناء خلافه مع السلطان السلجوقي مسعود (٥٢٨- ٥٤٧هـ/ ١١٣٤- ١١٥٢م)[١]، ولأهمية هذا الموضوع تقرر تنظيم اجتماع في بيت النَّوْبة في رجب عام ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م، وحضره هؤلاء الأمراء وكرموا فيه[٢] ومُنحوا الخلع والأموال[٣]، ومن الراجح أنه تم اختيار بيت النَّوْبة وليس باب الحجرة بوصفه بيت الدولة، ولأهمية الموضوع وجديته بالنسبة للخلافة العباسية، خاصة أنه سينتهى بخوض معركة مهمة شارك فيها هؤلاء الأمراء مع المسترشد بالله ضد السلطان مسعود، وأسفرت عن مقتل الخليفة في مدينة مراغة في ذي القعدة من العام نفسه[٤].

آلت الخلافة بعد وفاة المسترشد بالله إلى ابنه الراشد بالله (٥٢٩- ٥٣٠هـ/ ١١٣٥- ١١٣٦م) الذى حرص على إبراء ذمة والده المالية قبل إقامة الصلاة عليه ببغداد، وقرر إعادة الأملاك التى صودرت من الناس في عهده[٥]، ومن الراجح أن كثرة الشكاوي كانت وراء هذا القرار، ولأهمية هذا الموضوع تقرر عقد اجتماع في البيت في الخامس من ذي الحجة عام ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م حضره الخليفة الراشد بالله، وحاجب باب النوبي ابن الصاحب[٦]، المختص بالنظر في المظالم[٧].

شهد هذا الاجتماع جمع كبير أشار إليهم ابن الجوزي بقوله:"حضر الناس بيت النَّوْبة وقام ابن الصاحب بقراءة قرار الخليفة وفيه:"تقدم بتصفح ما كان يجرى على أيدي النواب في الأيام المسترشدية..وأوعز برده... ليحظى الإمام الشهيد بزلفى ثوابه.. وأخرج من باب الحجرة أكياس فيها حجج الناس ووثائقهم وما كتب عليهم..وشهد الشهود.. أنه قد أبرأ أمير المؤمنين مما يستحقه في ذمته"[٨].

بالإضافة إلى هذه الاجتماعات كان بيت النَّوْبة يختص- في بعض الأحيان- بتنظيم مقابلة الخلفاء، فيأتى من يريد لقاءه إلى البيت ويطلب الإذن بذلك، ويتم إبلاغ الخليفة، ويحدد أسماء من يوافق على استقبالهم، وقد حدث ذلك- كما أشرنا- أثناء مراسم زواج الخليفة القائم بأمر الله من أرسلان خاتون.

---

[١] طلب بعض الأمراء اللذين وصفوا بالكبار لمكانتهم في دولة السلاجقة، اللجوء إلى الخليفة المسترشد بالله إثر هزيمتهم أمام السلطان مسعود، وهم يرنقش البازدار، وقزل، وسنقر، وجاءوا إلى دار الخلافة وقاموا بتحريض الخليفة على حرب السلطان مسعود، واشتركوا معه في الحرب. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ٢٩١ ، ٢٩٣- ٢٩٤؛ العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ٢، ١٩٦ – ١٩٨؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ١٦٣-١٦٤؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ٢٠٧- ٢٠٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩،٢٨١ – ٢٨٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ٣٥٥.

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ٢٩٤.

[٣] ابن الأثير، الكامل،ج ٩، ٢٨١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ٣٥٥.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ٢٩٤ – ٢٩٥، ٢٩٨ – ٢٩٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ٢٨٢ – ٢٨٣.

[٥] علي بن منصور ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ج ٢ (الأردن: مؤسسة حمادة ودار الكندى، ١٩٩٩)، ٤٤٤؛ أبو الخطاب عمر ابن الحسن ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بنى العباس (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠١)، ١٤٠.

[٦] **هبة الله بن محمد بن الحسن:** عمل حاجبًا لباب النوبي بدار الخلافة ببغداد لمدة عشرين عام منذ عام ٥١٤هـ/١١٢٠م حتى عام ٥٣٤ هـ/١١٤٠م، وتوفي عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م. ابن العمراني، الإنباء، ٢١١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ٥؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج ٣، ٢٠٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ٦٩٩.

[٧] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٢٥٥-٢٥٦؛ الصفدي، الوافي، ج ١٩، ١٩، ج ٢٧، ٤٧.

[٨] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ٣٠١.

وبرز دور البيت في هذا الموضوع في عهد الخليفة المقتفي بالله (٥٣٠ – ٥٥٥هـ/ ١١٣٦–١١٦٠م)، ففى ربيع الأول عام ٥٣٦هـ/١١٤١م جاء إلى البيت علي بن طراد الزينبي[١]– الوزير السابق للخليفة– وحضر معه وزير السلطان مسعود[٢]، وجمع كبير من الأمراء والخدم والخواص السلاجقة، وطلبوا الإذن بمقابلة الخليفة المقتفي لإبلاغه رسائل السلطان سنجر(٤٩٠–٥٥٢هـ/١٠٩٧–١١٥٧م) والسلطان مسعود، وتتعلق بطلب قبول شفاعتهم فى الوزير علي بن طراد الزينبي والعفو عنه[٣].

أصدر المقتفي أوامره بعزل الوزير الزينيي عام ٥٣٤هـ/١١٣٩م بعد أن تعددت مساوئه، وكان من بينها علاقته الوطيدة بدولة السلاجقة، ومعارضته له في كثير من الأمور، فاحتمى الوزير بدار السلاجقة ببغداد منذ عزله خوفًا من اعتقاله، ومنذ ذلك الوقت بُذلت الكثير من المساعي لطلب العفو عنه دون جدوى[٤]، وقد سمح الخليفة بمقابلة وزير السلطان مسعود فقط، وتحدث معه بشأن عودة الوزير إلى بيته والعفو عنه، وقبل المقتفي الوساطة السلجوقية، ثم أذن للزينبي وللأمراء السلاجقة المنتظرين ببيت النَّوْبة بالدخول إليه وتحيته[٥].

ظل اسم بيت النَّوْبة يتردد بعد ذلك فى المصادر العربية لأكثر من قرن، واقتصر دوره على إقامة مراسم العزاء عند وفاة أحد الخلفاء أو من أفراد الأسرة العباسية، وذلك منذ عهد الخليفة القائم بأمر الله حتى وفاة الخليفة المستنصر بالله وولاية المستعصم بالله آخر الخلفاء.

أقيم العزاء ببيت النَّوْبة للعديد من أفراد الأسرة العباسية سواء كانوا رجالًا أم نساء، وقد ذكرت المصادر أسماء البعض منهم، فأقيم فيه عزاء والدة[٦] الخليفة القائم بأمر الله عام ٤٥٢هـ/١٠٦١م[٧]، وعزاء ابنته زوجة السلطان طغرلبك التى توفيت عام ٤٩٦هـ/١١٠٣م[٨]، وأقيم به العزاء لثلاثة من أبناء الخليفة المستظهر بالله، كان أولهم أبا الحسن علي الذى توفي عام ٥٢٥هـ/١١٣١م[٩]، ثم أبا القاسم وهو أصغر أبناء المستظهر بالله وشقيق الخليفة

---

[١] **أبو القاسم علي بن طراد بن محمد:** من أسرة توارثت ولاية نقابة العباسيين فى بغداد، تولى الوزارة للخليفة المسترشد بالله منذ عام ٥١٦هـ/ ١١٢٢م وظل وزيرًا له طوال فترة خلافته، ثم تولاها للخليفة المقتفي منذ عام ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م، حتى عزل منها عام ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م، فلزم داره وتفرغ للعبادة، وتوفي عام ٥٣٨هـ/١١٤٣م. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ٢٠٥، ج ١٨، ٣٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١١، ٦٨٧ ؛ الصفدي، الوافي، ج ٢١، ١٠٤ – ١٠٥.

[٢] **هو أبو العز مجد الدين عز الملك البروجردي:** تدرج في العديد من الوظائف، فتولى منصب الاستيفاء، ثم عمل كاتبًا للأمير قراسنقر وتولى الوزارة للسلطان مسعود منذ عام ٥٣٣هـ١١٣٩م حتى عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م، ثم عزله وسجنه وتوفي في نفس العام. العماد الأصفهاني، نصرة الفترة، ج ٢، ٢٢٩؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ٢١٥، ٢٣٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ٣٣٣.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ١٨.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ٤ ، ١٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ٣١٥؛ الصفدي، الوافي، ج ٢١، ١٠٥.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ١٨.

[٦] كانت جارية أرمينية تعرف بقطر الندى، وقيل بدر الدجى، وقيل أيضًا علم. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ٦٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١١١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ٢٤٥.

[٧] ابن الجوزي، المنتظم،ج ١٦، ٦٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ١١١.

[٨] ابن الجوزي، المنتظم،ج ١٧، ٨٣؛ ابن كثير، البداية ،ج ١٢، ١٦٣.

[٩] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢٠، ٢٣٧.

المقتفي، وتوفي عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م[١]، وأبا إسحاق وهو أيضًا من أخوة الخليفة المقتفي، وتوفى عام ٥٥٣ هـ/١١٥٨م[٢]، وتمت مراسم العزاء برئاسة الوزير، وحضرها كبار رجال الدولة، واستمرت فى أغلب الأحيان لمدة يومين، عدا عزاء أبو الحسن علي بن المستظهر استمر لمدة ثلاثة أيام، وكان العزاء يظل قائمًا حتى يصدر الخليفة توقيعًا بانتهائه[٣].

اهتمت أيضًا الخلافة بإقامة مراسم العزاء بالبيت عند وفاة بعض سلاطين السلاجقة، وكان من بينهم السلطان مسعود، وحضره الوزير وكبار رجال الدولة فى رجب عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م[٤].

برز دور بيت النَّوْبة فى مراسم عزاء العديد من الخلفاء العباسيين، وأصبح المقر الرسمى لذلك منذ وفاة الخليفة الراشد بالله عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م حتى وفاة الخليفة المستنصر بالله عام ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، فأقيم به العزاء للخليفة الراشد بالله يومًا واحدًا[٥]، وهذا علي غير المعتاد حيث كانت جميع مراسم عزاء الخلفاء تستمر ثلاثة أيام[٦]، وقد يكون ذلك بسبب وفاة الراشد بالله فى رمضان عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م بعد عامين من خلعه من الخلافة [٧].

تتلخص مراسم العزاء عند وفاة أحد من الخلفاء فى حضور الوزير وكبار رجال الدولة إلى بيت النَّوْبة، وذكرتهم المصادر تارة باسم "الصدور والأكابر"[٨]، وتارة أخرى بـ"أرباب المناصب والناس على طبقاتهم"[٩]، و"أرباب

---

[١] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ١٢٢؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ٣، ٥٧.

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ١٢٦.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ١٢٢، ١٢٦؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج٣، ٥٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢٠، ٢٣٧، ٤١٨؛ ابن كثير، البداية، ج ١٢، ١٦٣.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ٨٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢٠، ٤١٨.

[٥] ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ٣٠٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ١٦٤.

[٦] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ١٤٠، ١٩١؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج ٢، ٢٣٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ١٠؛ ظهير الدين على بن محمد ابن الكازروني، مختصر التاريخ (بغداد: المؤسسة العامة للطباعة والنشر، ١٩٧٠)، ٢٣٣، ٢٣٨؛ ناصر الدين محمد عبد الرحيم ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٤ (البصرة: دار الطباعة الحديثة ،١٩٦٩)، ق ١، ١٢١.

[٧] ساءت العلاقات بين الخليفة الراشد بالله والسلطان مسعود، واتفق أمراء العراق والموصل مع الراشد على قتاله، فسار السلطان مسعود إلى بغداد فى ذي القعدة عام ٥٣٠هـ/١١٣٦م وحاصرها، واضطر الراشد إلى مغادرتها مع عماد الدين زنكي إلى الموصل، فاتفق السلطان مسعود مع الوزير علي بن طراد الزينبي على خلع الراشد، وشهد على ذلك الفقهاء والقضاة والشهود ببغداد. ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ٢٨٨– ٢٨٩، ٢٩١– ٢٩٢، ٣٠٥.

[٨] وردت هذه العبارة فى عزاء الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥– ٥٦٦هـ/١١٦٠– ١١٧٠م) وكان توفي عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وفى عزاء الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣– ٦٤٠هـ/١٢٢٦ – ١٢٤٢م) وتوفي عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ٢٣٨؛ ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ٣٤٩.

[٩] ذكرت هذه العبارة عند وفاة المقتفي بالله عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ٢٣٣.

الدولة"[١]، و"مضى العالم إلى بيت النَّوْبة"[٢]، إشارة إلى كثرة المعزيين، وكانوا يرتدون ثياب العزاء البيضاء، ويستمرون فى ارتداؤها– فى بعض الأحيان– لمدة شهرا[٣].

تتم طقوس العزاء الإسلامية المعتادة فى أيام العزاء من تلاوة القرآن الكريم وختمه[٤]، كما كان حضور كبار الفقهاء من أهم المراسم المتبعة فى عزاء الخلفاء، ولم يكتف هؤلاء بحضور العزاء بل كانوا يقومون بإلقاء دروس الوعظ فيه، وأصبح العزاء بذلك حلقة علمية مستمرة أيامه الثلاثة فى بيت النَّوْبة، وكان الفقهاء يجلسون فى مكان يميزهم فى البيت، ليتسنى للحضور رؤيتهم وسماعهم، وكان للمؤرخ والفقيه ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) وأحفاده من بعده مكان مهم وبارز فى عزاء الخلفاء، وقد أوضح ابن الجوزي ذلك فى كتاباته، فقال عند حضوره عزاء المقتفي بالله عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م:"فتقدم إلى بالكلام فى العزاء، ووضع كرسى لطيف، فتكلمت فى بيت النَّوْبة ثلاثة أيام" [٥]، كما اهتم بحضور عزاء الخليفة المستنجد بالله عام ٥٦٦هـ/١١٧٠م، وتكلم أيضًا فى أيامه الثلاثة[٦]، ومن الراجح أنه كان يتحدث فى الوعظ والفقه.

شارك أيضًا محيي الدين بن الجوزي[٧] في عزاء الخليفة الناصر لدين الله عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م فى البيت[٨]، وألقى دروس وعظ [٩]، كما تحدث ابنه جمال الدين[١٠] فى عزاء الخليفة المستنصربالله عام ٦٤٠هـ/١٢٤٢م [١١]، بالإضافة إلى ذلك كان حضور الشعراء من مراسم عزاء الخلفاء فى بيت النَّوْبة، وكانوا ينشدون أبيات التعازي عند وفاة الخليفة، وفى اليوم الثالث يهنئون الخليفة الجديد بولايته[١٢].

وصار بذلك لبيت النَّوْبة دور ثقافي لأكثر من قرن، وكان يتجدد مع اجتماع كبار رجال الدولة والفقهاء والشعراء والأعيان أثناء العزاء، وفى رأينا لولا سقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م لظل دوره قائمًا سنوات عديدة.

---

[١] كتبت العبارة عند وفاة المستضىء بأمر الله (٥٦٦– ٥٧٥هـ/١١٧٠–١١٨٠م). ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج ٢، ٢٣٣.

[٢] ذكرت هذه العبارة عند وفاة الظاهر بأمر الله (٦٢٢– ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥– ١٢٢٦م) . ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ٢٥٩.

[٣] حدث هذا بعد وفاة المستنجد بالله عام ٥٦٦هـ/١١٧٠ م. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ٢٣٨.

[٤] ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ٢٦٧؛ ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ٢٧٢، ٣٤٩.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ١٤٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ١٠.

[٦] ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ١٩١؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٤، ق ١، ١٢١.

[٧] **أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن بن علي الحنبلي:** كان من كبار العلماء، وسافر كثيرًا رسولًا عن الخلافة إلى مصر والشام، وأسند إليه منصب أستاذ دار فى عهد الخليفة المستعصم بالله عام ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، واستمر فى وظيفته حتى قتل هو وأولاده فى الغزو التترى لبغداد فى صفر٦٥٦هـ/١٢٥٨م. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٤، ٣٤٧، ٦٧٠ ، ٨٥٤.

[٨] ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ٢٧٢.

[٩] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٣، ٦٣٣.

[١٠] **أبو الفرج عبد الرحمن بن محيى الدين يوسف:** كان من كبار الأعيان فى بغداد، وتولى وظيفة الحسبة، وسافر رسولًا عن الخلافة إلى العديد من البلاد، وقتل مع والده عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٤، ٨٢٣.

[١١] ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج ٧، ٣٤٩.

[١٢] ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج ٢، ٢٣٣؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ٢٣٨، ٢٥٩.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع بيت النَّوْبة ودوره فى دار الخلافة العباسية فى بغداد منذ القرن الخامس الهجري/الحادى عشر الميلادي حتى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، توصلنا إلى عدد من النتائج:

– بالنسبة لبيت النَّوْبة، بينت الدراسة أن كلمة النَّوْبة تعني في اللغة الدولة والجماعة من الناس، ويقصد به بيت الدولة الذى يأتي إليه جمع من الناس، ورجحنا أنه أسس فى عهد الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢– ٤٦٧هـ/١٠٣١ ١٠٧٥م) وحددنا موقعه فى دار الخلافة، على شاطئ نهر دجلة بالقرب من دار السلام، والتى كان يعقد فيها

مجالس الخلفاء، وتبين من الدراسة أن بيت النَّوْبة كان هو بيت الدولة المختصص بعقد الاجتماعات فى دار الخلافة ببغداد، وتتمثل أهميته في أنه أصبح المكان الذى حافظت فيه الخلافة العباسية على هيبتها، وما تبقى لها من سلطاتها، وصار المقر الرسمي الذى أعلنت فيه قرارات الخلفاء، وعكس هذا الهدف من تشييد البيت.

– أبرزت الدراسة المراسم الخاصة ببيت النَّوْبة، فكانت أغلب الاجتماعات تعقد برئاسة الوزير، وبحضور جمع كبير من كبار رجال الدولة من القضاة والفقهاء والأشراف والشهود والأعيان، ووضع نظام إداري لتنظيم الأمور التى تعرض فى بيت النَّوْبة، فكان يقوم أحد الموظفين بتسجيل أسماء الحضور، وبترتيب جلوسهم حسب مكانتهم الأعلى فالأقل، ورجحنا أن هيئة الجلوس كانت على شكل دائرة يتوسطها الوزير.

– أما بالنسبة لدور بيت النَّوْبة، فأوضحت الدراسة أنه كان المكان الرسمي المختص بممارسة سلطات الخلفاء، وعقد به الاجتماعات التى تختص بسلطة الخلفاء الدينية، منها قراراتهم بشأن أهل الذمة وإلزامهم بارتداء الملابس التي تميزهم عن المسلمين، والتأكيد على نفي إثبات نسب الخلافة الفاطمية إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومحاولة حل أزمة حصار الحملة الصليبية الأولى لأنطاكية، كما شهد الاجتماعات التى تختص بسلطة الخلفاء الشرعية في اصدار القرارات السياسية الخاصة بتعيين كبار رجال الدولة في بغداد من الوزراء والقضاة، والنقباء، والعلويين، والكتاب، وتكريم القضاة والقادة، هذا بالإضافة إلى ولاية أمراء القبائل العربية فى الكوفة والموصل والحلة، وسلاطين دولة السلاجقة، وكان يتم منحهم تقليد الولاية والخلع والألقاب فى البيت بصورة تشبه الاحتفال، ويحضرها كبار رجال الدولة، وكان منح الخلع– في بعض الأحيان– بهدف إنهاء الأزمات السياسية، وظل بيت النَّوْبة مقر الدولة المختص بهذا الأمر قرابة قرن، ثم حلت دار الحجرة محله.

– أوضحت الدراسة أن بيت النَّوْبة كان المكان المختص بتنظيم مقابلة الخلفاء، وكان له– فى بعض الأحيان– دور اجتماعي، وعقد به مراسم زواج كبار رجال الدولة، كما أقيمت به بعض الاجتماعات التى يتعلق بالأمور الاقتصادية، ومنها إبراء ذمة الخليفة المسترشد بالله المالية، وشهد البيت– في بعض الأحيان– اجتماعات أقيمت بصفة استثنائية، مثل عقد مجالس قاضي القضاة، ومراسم استقبال بعض الضيوف.

– أظهرت الدراسة دور بيت النَّوْبة فى العلاقات بين الخلافة العباسية ودولة السلاجقة، وشهد البيت الكثير من الاجتماعات التي تعددت واختلفت موضوعاتها، بين محاولات دولة السلاجقة سلب المزيد من سلطات الخلفاء، كالإصرار على زواج السلطان طغرلبك من ابنة الخليفة القائم بأمر الله، وهو أمر لم تشهده الخلافة من قبل، واضطر الخليفة على الموافقة بسبب التهديدات التى تمت من قبلهم فى بيت النَّوْبة، كما أعلنت الخلافة رفضها لسوء حساب الموظفين المعينين ببغداد من قبل السلاجقة، للأمور المالية الخاصة بإقطاعات الخليفة والوزير، وشهد البيت العديد من الاجتماعات بهذا الشأن، وحاولت دولة السلاجقة فرض سيطرتها على وزراء الخلافة

العباسية، وقابل الخلفاء هذا الأمر بعزل هؤلاء الوزراء، ودار بالبيت بعض الاجتماعات التى هدفت اصلاح طريق الحج من بلاد المشرق والعراق إلى مكة، وانشاء أول مدرسة ببغداد وهى المدرسة النظامية، كما عبرت الخلافة العباسية عن سعادتها بانتصارات دولة السلاجقة على الدولة البيزنطية واحتفل بها في البيت.

– أوضحت الدراسة أن بيت النَّوْبة اختص بإقامة مراسم العزاء عند وفاة الخلفاء أو أحد أفراد الأسرة العباسية، وصار له من خلال مراسم العزاء دور ثقافي استمر تأثيره ما يربو على قرن من الزمان.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المصادر العربية:

- أبو إبراهيم الفتح بن على بن محمد البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠.
- أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١.
- أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٢.
- أبو بكر نجم الدين محمد بن على الراوندي، راحة الصدور وأية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم الشواربي، عبد المنعم حسين، فؤاد الصياد، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥.
- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.
- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت.
- أبو الحسن علي بن منصور ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام هزايمة، الأردن: دار الكندي ١٩٩٩.
- أبو الحسن على بن ناصر الحسيني، زبدة التواريخ، تحقيق محمد نور الدين، بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٦.
- أبو الحسين هلال بن المحسن الصابئ، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٦.
- أبو الخطاب عمر بن الحسن ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق مديحة الشرقاوي، القاهرة: الثقافة الدينية،٢٠٠١.
- أبو الريحان محمد بن البيروني، الأثار الباقية من القرون الخالية، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٨.
- أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٨٠.
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.
- أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د إحسان عباس، بيروت: دار صادر ١٩٦٨.
- أبو عبد الله محمد بن حامد العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجة الأثري، العراق: المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥.
- نصرة الفترة وعصرة الفطرة، تحقيق عصام مصطفى عقلة، لندن: الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٩.
- أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦.
- أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٩٠.

– أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.

– أبو الفضل عبد الرازق بن أحمد ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٨٦.

– أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين العمروي، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥.

– أبو القاسم عمر بن أحمد ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، بيروت: دار الفكر ١٩٨٨.

– زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق د سامى الدهان، دمشق: المعهد الفرنسي، ١٩٦٧.

– أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق إبراهيم الزيبق، دمشق: دار الرسالة العلمية، ٢٠١٣.

– أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٤.

– إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٩.

– أحمد بن يوسف بن على الفارقي، تاريخ الفارقي، تحقيق د بدوى عبد اللطيف عوض، القاهرة: الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٩٥٩.

– تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦.

– زين الدين عمر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.

– شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦.

– شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥.

– صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠.

– ظهير الدين علي بن محمد ابن الكازروني، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، بغداد: المؤسسة العامة للطباعة والنشر، ١٩٧٠.

– غريغوريوس أبو الفرج بن هارون ابن العبري، تاريخ الزمان، ترجمة إسحاق أرملة، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦.

– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.

– محمد بن علي بن محمد ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السمرائى، القاهرة: دار الأفاق العربية ١٩٩٩.

– محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت: دار صادر، ب.ت.

– محمد بن مكرم بن بن أحمد ابن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين عبد الوهاب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩.

– ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن الشماع، البصرة: دار الطباعة الحديثة، ١٩٦٩.

– ياقوت بن عبد الله الرومى الحموي، معجم الأدباء، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١.

- معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥.

ثانيًا– المراجع العربية:

– حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة: دار الفكر العربي ط الخامسة، ب.ت.

– حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥.

– رفائيل أبو اسحق، أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٦٠.

– عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد: مطبعة السريان،١٩٤٥.

– عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩.

– محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٩.

– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤.

– وفاء محمد علي، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٨.

ثالثًا: المراجع العربية المترجمة:

– رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، العراق: دار الرشيد، ١٩٨٠.

رابعًا: الدوريات:

– مصطفى جواد، دار الخلافة العباسية، مجلة المجمع العلمى العراقي، العراق: المجلد الثانى عشر، ١٩٦٥.